الرحلات السيبيرية

تأليف
محمد بن ناصر العبودي

شرق سيبيريا

الرحلات السيبيرية:

شـرق سيبريا

تأليف

محمد بن ناصر العبودي

https://dawa.center

المستودع الدعوي الرقمي
Osoul Center For Studies

ⓒ دار الثلوثية للنشر ، ١٤٣٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العبودي ، محمد ناصر

شرق سيبيريا / محمد ناصر العبودي - الرياض ، ١٤٣٢هـ

١٧٦ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك : ٩-٧-٩٠٢١١-٦٠٣-٩٧٨

١- سيبيريا - وصف ورحلات أ- العنوان

ديوي ٩١٤,٧٠٤ ١٤٣٢/٥٨٥٠

رقم الايداع: ١٤٣٢/٥٨٥٠

ردمك: ٩-٧-٩٠٢١١-٦٠٣-٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ / ٢٠١٢ م

بسم الله الرحمن الرحيم

كتب مطبوعة في الرحلات للمؤلف

(١) في إفريقية الخضراء: مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين- طبع بيروت، دار الثقافة، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

(٢) رحلة إلى جزر مالديف إحدى عجائب الدنيا- الرياض، دار العلوم، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(٣) مدغشقر بلاد المسلمين الضائعين- الرياض، النادي الأدبي، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(٤) جولة في جزائر البحر الزنجي أو حديث عن الإسلام والمسلمين في جزر المحيط الهندي- الرياض، المطابع الأهلية للأوفست، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

(٥) رحلة إلى سيلان- الرياض، جمعية الثقافة والفنون، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م.

(٦) صلة الحديث عن إفريقية مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين- نشرته دار العلوم في الرياض، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٧) مشاهدات في بلاد العنصريين، رحلة إلى جنوب إفريقية وحديث في شؤون المسلمين- نشره نادي القصيم الأدبي في بريدة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٨) إطلالة على نهاية العالم الجنوبي- مكة المكرمة، نادي مكة الثقافي، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٩) زيارة لسلطنة بروناي الإسلامية- طبع بمطابع الرياض الأهلية للأوفست، عام ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(١٠) شهر في غرب إفريقية مشاهدات وأحاديث عن المسلمين- الرياض، المطابع الأهلية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(١١) في نيبال بلاد الجبال- رحلة وحديث في شؤون المسلمين- الرياض، مطابع الفرزدق، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(١٢) رحلات في أمريكا الوسطى- المطابع الأهلية للأوفست في الرياض، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(١٣) إلى أقصى الجنوب الأمريكي رحلة في الأرجنتين وتشيلي- الرياض، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(١٤) على ضفاف الأمازون، رحلة في المنطقة الاستوائية من البرازيل- نشره النادي الأدبي في أبها، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(١٥) على قمم جبال الأنديز- الرياض، مطابع الفرزدق التجارية، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(١٦) في غرب البرازيل- الرياض، مطابع الفرزدق التجارية ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٧) في بلاد المسلمين المنسيين: بخارى وما وراء النهر- طبع في مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٨) بقية الحديث عن إفريقية- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٩) جولة في جزائر البحر الكاريبي- مطابع الرياض الأهلية للأوفست، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(٢٠) جولة في جزائر جنوب المحيط الهادئ، مطابع الفرزدق، الرياض، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(٢١) داخل أسوار الصين (مجلدان)- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٢) بلاد الداغستان- طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ.

(٢٣) الرحلة الروسية- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٢٤) مع المسلمين البولنديين- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٥) جمهورية أذربيجان- طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٦) في أعماق الصين الشعبية- نشرته مجلة المنهل.

(٢٧) بين الأرغواي والبارغواي- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٨) بورما الخبر والعيان- طبع ببيروت عام ١٤١٢هـ.

(٢٩) مقال عن بلاد البنغال- طبع بالرياض عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣٠) ذكريات من يوغسلافيا- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣١) كنت في بلغاريا- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣٢) في جنوب الصين- طبعته رابطة العالم الإسلامي بمطبعتها في مكة المكرمة عام ١٤١٤هـ.

(٣٣) كنت في ألمانيا- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٣٤) ذكرياتي في إفريقية- محاضرة طبعتها رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة.

(٣٥) أيام في النيجر- طبع ببيروت عام ١٤١٤هـ.

(٣٦) على أرض القهوة البرازيلية- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٥هـ.

(٣٧) نظرة في شرق أوربا وحالة المسلمين بعد الشيوعية- طبع ببيروت عام ١٤١٤هـ.

(٣٨) بين غينيا بيساو وغينيا كوناكري- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٣٩) من أنقولا إلى الرأس الأخضر- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٤٠) سياحة في كشمير- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

(٤١) يوميات آسيا الوسطى- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٤٢) نظرة في وسط إفريقية- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

(٤٣) بلاد القريم- نشرته دار القبلة في جدة.

(٤٤) قصة سفر في نيجريا (مجلدان)- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض.

(٤٥) حديث قازاقستان- نشرته دار القبلة في جدة (تحت الطبع).

(٤٦) المسلمون في لاوس وكمبوديا: رحلة ومشاهدات ميدانية- نشرته رابطة العالم الإسلامي في سلسلة دعوة الحق، وطبعته في مطبعتها عام ١٤١٦هـ.

(٤٧) في جنوب الهند (من سلسلة الرحلات الهندية) طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٧هـ.

(٤٨) رحلات في أمريكا الجنوبية: غينيا وسورينام، مطابع التقنية في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٤٩) إطلالة على أستراليا- طبع في مطابع التقنية للأوفست- الرياض عام ١٤١٧هـ.

(٥٠) أيام في فيتنام- نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧هـ.

(٥١) في غرب الهند (من سلسلة الرحلات الهندية) نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة، عام ١٤١٧هـ.

(٥٢) إطلالة على موريتانيا – نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧هـ.

(٥٣) حديث قيرغيزستان، دراسة في ماضيها ومشاهدات ميدانية- نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(٥٤) زيارة رسمية لتايوان، نشر دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(٥٥) سطور من المنظور والمأثور عن بلاد التكرور- مطابع النرجس التجارية، الرياض، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

(٥٦) راجستان: بلاد الملوك (من سلسلة الرحلات الهندية) مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

(٥٧) في شرق الهند (من سلسلة الرحلات الهندية) طبع في مطابع التقنية للأوفست في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٥٨) العودة إلى الصين (من سلسلة الرحلات الصينية) طبع في مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٠هـ.

(٥٩) في شرق البرازيل، من سلسلة الرحلات البرازيلية- طبع في مطابع التقنية في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٦٠) هندوراس ونيكاراقوا وكوستاريكا (من سلسلة الرحلات في جمهوريات الموز) مطابع التقنية، الرياض، ١٤١٩هـ.

(٦١) من بلاد القرتشاي إلى بلاد القبرداي (من سلسلة الرحلات القوقازية) طبع في مطابع التقنية للأوفست، الرياض، ١٤٢٠هـ.

(٦٢) بلاد التتار والبلغار (من سلسلة رحلات الشمال) نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته بمطبعتها في مكة المكرمة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٦٣) بلاد الشركس: الإديغي- طبع مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٦٤) مواطن إسلامية ضائعة- مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٦٥) تائه في تاهيتي- طبعته مطابع التقنية، الرياض،١٤٢٠ هـ.

(٦٦) نظرة إلى الفلبين بين زيارتين: رسمية وخاصة، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٠هـ.

(٦٧) ذكريات من الاتحاد السوفيتي، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٠هـ.

(٦٨) نظرة إلى الوجه الآخر من الأرض أو رحلة إلى أبعد مكان: جولات في أقصى جزر المحيط الهادئ الجنوبي، طبع في مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٦٩) إقليما سمارا وأستراخان (من سلسلة الرحلات في جنوب روسيا)، نشرته دار خضر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

(٧٠) في إندونيسيا أكبر بلاد المسلمين، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٧١) قرينادا وسانتالوسيا ودومنيكا (من سلسلة الرحلات الكاريبية) مطبعة العلا، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٧٢) مشاهدات في تايلند، مطابع النرجس في الرياض، عام ١٤٢١هـ.

(٧٣) مع العمل الإسلامي في القارة الأسترالية، جولة وحديث في شؤون الإسلام، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢١هـ.

(٧٤) فطاني أو جنوب تايلند، مطابع المسموعة، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٧٥) المستفاد من السفر إلى شاد، مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٧٦) في جنوب البرازيل (من سلسلة الرحلات البرازيلية) مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٧٧) شمال شرق الهند، رحلة في ولايتي بيهار وإترابراديش وحديث عن المسلمين، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٧٨) بلغاريا ومقدونيا (من سلسلة الرحلات في بلاد البلقان) طبع في مطابع العلا، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٧٩) بلاد البلطيق، طبع في مطابع الجاسر، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(٨٠) بيليز والسلفادور (من سلسلة الرحلات في جمهوريات الموز) طبع في مطابع العلا، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٨١) (العودة إلى ما وراء النهر) جولة في آسيا الوسطى، وحديث عن شؤون المسلمين، طبع في مطابع المسموعة، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(٨٢) (على سقف العالم) رحلة في التبت، وحديث في شؤون المسلمين، نشره نادي القصيم الأدبي، بريدة، ١٤٢٢هـ.

(٨٣) الإسلام والمسلمون في غرب إفريقية، أو بقية البقية من حديث إفريقية، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٨٤) بلاد العربية الضائعة (جورجيا) طبع في مطابع العلا، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٨٥) الاعتبار في السفر إلى ماليبار (من سلسلة الرحلات الهندية)، نشره النادي الأدبي الثقافي في مكة المكرمة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٨٦) ذكريات من خلف الستار العقيدي، رحلة في شرق أوروبا وأحاديث في أحوال المسلمين، طبع في مطابع النرجس، الرياض،١٤٢٢هـ.

(٨٧) بالي، جزيرة الأحلام، طبع في مطابع النرجس، الرياض،١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٨٨) غايتي من السفر إلى هايتي، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٨٩) إلى جنوب الشمال: بلاد السويد، طبع في مطبعة العلا، الرياض، ١٤٢٣هـ.

(٩٠) وراء المشرقين رحلة حول العالم وحديث في أحوال المسلمين، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٩١) إلمامة بجنوب الفلبين لحضور الاحتفال بافتتاح المباحثات السلمية بين الحكومة الفلبينية وجبهة تحرير مورو الإسلامية، ومشاهدات أخرى، مطابع النرجس عام ١٤٢٤هـ /٢٠٠٣م.

(٩٢) رحلة هونغ كونغ وما كاو، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٩٣) إلى أقصى الجنوب الإفريقي، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٩٤) شمال سيبريا (من سلسلة الرحلات السيبرية) مطابع النرجس، الرياض، عام ١٤٢٤هـ.

(٩٥) فوق سقف الصين: رحلة في الشمال الغربي من الصين، وحديث عن المسلمين، طبعته مطبعة العلا في الرياض، عام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(٩٦) إقليم أورنبورغ (من سلسلة الرحلات في جنوب روسيا) طبع في مطابع العلا في الرياض، عام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(٩٧) إلى إريتريا بعد ٣٦ سنة، طبع في مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٤هـ.

(٩٨) الشرق الشمالي من البرازيل: رحلة في ولايات: برنانبوكو وريوقراندي دي نورتي وباراييبا (من سلسلة الرحلات البرازيلية) طبع في مطابع العلا في الرياض.

(٩٩) من غينيا الاستوائية إلى ساو تومي: رحلات في القارة الإفريقية، مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(١٠٠) من روسيا البيضاء إلى روسيا الحمراء (من سلسلة الرحلات في القارة الأوروبية) مطابع العلا في الرياض، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

(١٠١) إلى شمال الشمال: بلاد النرويج وفنلندا (من سلسلة الرحلات في القارة الأوروبية)، مطابع العلا في الرياض، ١٤٢٤هـ.

(١٠٢) في غرب أستراليا (من سلسلة الرحلات الأسترالية) (تحت الطبع).

(١٠٣) (نظرات في شمال الهند) مجلدان، طبع في مطابع النرجس في الرياض، عام ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣

(١٠٤) جولات فنزويلية وحديث عن المسلمين في أحد أركان القارة (من سلسلة رحلات في أمريكا الجنوبية)، مطبعة النرجس في الرياض عام ١٤٢٧هـ.

(١٠٥) الحل والرحيل في بلاد البرازيل (ثلاثة مجلدات من سلسلة الرحلات البرازيلية)، (تحت الطبع).

(١٠٦) في وسط الهند، طبعته مطبعة النرجس عام ١٤٢٦هـ.

(١٠٧) قوادي لوب وانتقوا وسان مارتن (من سلسلة الرحلات في البحر الكاريبي) طبع مطابع النرجس عام ١٤٢٦هـ.

(١٠٨) في شمال شرق آسيا، رحلة في سيبريا ومنغوليا، طبع مطابع العلا في الرياض، عام ١٤٢٦هـ.

(١٠٩) القلم وما أوتي، في جيبوتي، مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٥هـ.

(١١٠) خلال أوكرانيا بحثاً عن المسلمين، (من سلسلة الرحلات في بلاد الشمال)، (تحت الطبع).

(١١١) مقال في زيارة منطقة الأورال، (من سلسلة الرحلات في وسط روسيا) ، نشرته دار ثقيف في الطائف عام ١٤٣١هـ.

(١١٢) بورتوريكو وجمهورية الدومنيكان، (من سلسلة الرحلات الكاريبية)، طبعته مطبعة النرجس في الرياض، عام ١٤٢٩هـ.

(١١٣) جمهورية القبائل الروسية (رحلات في جنوب روسيا)، (تحت الطبع).

(١١٤) في غرب سيبيريا، مشاهدات وأحاديث في شئون المسلمين (الرحلات السيبيرية) طبع في مطبعة العلا في الرياض، عام ١٤٣٠هـ.

(١١٥) شمال أستراليا، رحلة وحديث في أحوال المسلمين (الرحلات الأسترالية) طبع في مطبعة العلا في الرياض، عام ١٤٣٠هـ.

(١١٦) إلمام بالمحيط الهادي من أستراليا إلى جزيرة قوام (الرحلات الأسترالية)، طبعته مطبعة النرجس في الرياض، عام ١٤٣١هـ.

(١١٧) إلى الشرق الأقصى الروسي (الرحلات الروسية) تحت الطبع.

(١١٨) في أقصى شرق الهند (الرحلات الهندية) طبع في مطبعة النرجس عام ١٤٣١هـ.

(١١٩) رحلة أخرى إلى الحبشة بعد أربعين عاماً ، طبع في مطبعة النرجس في الرياض، عام ١٤٣١هـ.

(١٢٠) جنوب أستراليا (الرحلات الأسترالية) تحت الطبع.

(١٢١) شرق سيبيريا (الرحلات السيبيرية) – وهو هذا الكتاب.

(١٢٢) العودة إلى غرب إفريقية، مطبعة النرجس في الرياض، عام ١٤٣١هـ.

(١٢٣) قول أوفى، في كوسوفا، نشرته دار الثلوثية للطبع و النشر في الرياض، عام ١٤٣١هـ.

(١٢٤) القول المَجسَّد في الرحلة إلى الجبل الأسود، طبعته مطبعة النرجس في الرياض، عام ١٤٣٢هـ.

(١٢٥) رحلة في المدينة المنورة قبل ستين سنة، نشرته دار الثلوثية في الرياض، عام ١٤٣٢هـ.

(١٢٦) رحلة إلى الظهران قبل ستين سنة، طبعته مطبعة النرجس في الرياض، عام ١٤٣٢هـ.

مؤلفاته مطبوعة في غير فن الرحلات

(١٢٧) معجم بلاد القصيم (في ستة مجلدات)- نشرته دار اليمامة بالمطابع الأهلية للأوفست، الرياض، ١٣٩٩هـ، ثم طبع مرة أخرى في عام ١٤١٠هـ.

(١٢٨) أخبار أبي العيناء اليمامي- طبع في الرياض وبيروت عام ١٣٩٨هـ.

(١٢٩) الأمثال العامية في نجد (خمسة مجلدات) ساعدت دارة الملك عبدالعزيز في الرياض على طبعه، ونشرته دار اليمامة للطبع والنشر عام ١٣٩٨هـ.

(١٣٠) كتاب الثقلاء- نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي.

(١٣١) نفحات من السكينة القرآنية- طبع أكثر من مرة آخرها طبعة لوزارة المعارف لتوزيعها على مكتبات المدارس- نشرته دار العلوم، الرياض، ١٤٠٣هـ.

(١٣٢) مأثورات شعبية- نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي.

(١٣٣) سوانح أدبية- طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤٠٥هـ.

(١٣٤) صور ثقيلة- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤٠٥هـ.

(١٣٥) العالم الإسلامي والرابطة- نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبع في مطبعتها في مكة المكرمة، ١٤١٤هـ.

(١٣٦) نظرة إلى العلاقات العربية مع أهالي جنوب الصحراء، مطابع التقنية، الرياض، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(١٣٧) المقامات الصحراوية- مطابع التقنية، الرياض، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(١٣٨) مساعدات المملكة العربية السعودية للمسلمين، وبخاصة الأقليات المسلمة- بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية- نشرته لجنة الاحتفال بمرور مائة عام على التأسيس، وطبعته في مطابع الناشر العربي، الرياض، ١٤١٩هـ.

(١٣٩) كلمات عربية لم تسجلها المعاجم، أحد بحوث المؤتمر الثاني للأدباء السعوديين، نشرته جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٠هـ.

(١٤٠) المملكة العربية السعودية بين الماضي والحاضر (لمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة)- نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطابعها في مكة المكرمة، ١٤١٩هـ.

(١٤١) مدلولات كلمات قضى عليها حكم الملك عبدالعزيز، نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون (لمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية).

(١٤٢) رابطة العالم الإسلامي إحدى القنوات السعودية لمساعدة المسلمين- نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها بمكة المكرمة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(١٤٣) الدعاة إلى الله: شرف مهمتهم، وطرق دعمهم، نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة، ١٤٢٠هـ.

(١٤٤) واجب المسلم في بلاد الأقليات، نشرته رابطة العالم الإسلامي، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

(١٤٥) (العالم الإسلامي: واقع وتوقعات) نشرته مجلة (العربية) التي تصدر في الرياض مصاحباً لعدد ذي الحجة ١٤٢٠هـ منها.

(١٤٦) الدعوة الإسلامية وإعداد الدعاة، طبعته مطابع الجاسر، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(١٤٧) (حِكَمُ العوام)، طبعت في مطابع الجاسر، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(١٤٨) في لغتنا الدارجة: كلمات قضت، (كتاب لغوي) طبعته بنفقتها ونشرته ضمن منشوراتها دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، في أربعة مجلدات.

(١٤٩) حكايات تحكى (قصص)، نشره نادي القصيم الأدبي في بريدة، عام ١٤٢١هـ.

(١٥٠) الأصول الفصيحة للألفاظ الدارجة، أو ما فعلته القرون بالعربية في مهدها (ثلاثة عشر مجلداً) نشرته مكتبة الملك عبدالعزيز العامة في الرياض، عام ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

(١٥١) أثر الأقليات المسلمة في الدعوة الإسلامية، نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(١٥٢) الكناية والمجاز في اللغة العامية، نشرته مجلة الدرعية التي تصدر في الرياض، ١٤٢٣هـ.

(١٥٣) أماكن قديمة العمارة في القصيم، نشرته مكتبة العبودي في بريدة لصاحبها صالح بن عبدالله العبودي.

(١٥٤) معجم الألفاظ الدخيلة في لغتنا الدارجة، نشرته مكتبة الملك عبدالعزيز العامة في الرياض في مجلدين- عام ١٤٢٥هـ.

(١٥٥) المقامات البلدانية، نشره النادي الأدبي في الرياض، عام ١٤٢٦هـ.

(١٥٦) الحوار في الإسلام، نشرته دار الطرفين للنشر والتوزيع في الطائف، عام ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

(١٥٧) دور الأقليات الإسلامية في الدعوة إلى الله، نشرته دار الطرفين للنشر والتوزيع في الطائف، عام ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

(١٥٨) الأقليات المسلمة: الواقع والمأمول، نشرته دار الطرفين للنشر والتوزيع في الطائف، عام ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

(١٥٩) العالم الإسلامي: الواقع والمعاناة، نشرته دار الطرفين للنشر والتوزيع في الطائف، عام ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

(١٦٠) هذا ما أستوحيته من الناس، كتاب أدبي طبع في مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٩هـ.

(١٦١) جهود خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز رحمه الله في مساعدة الإخوة المسلمين وبخاصة في بلاد الأقليات المسلمة، مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٩هـ.

(١٦٢) العلاقات بين المملكة العربية السعودية وتركيا، طبع في مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٩هـ

(١٦٣) أخبار الملا ابن سيف تنشره دار الثلوثية في الرياض.

(١٦٤) أخبار قني تنشره دار الثلوثية في الرياض.

(١٦٥) أخبار مطوع اللسيب تنشره دار الثلوثية في الرياض.

(١٦٦) مشاهد من بريدة قبل ٧٥ سنة، تنشره دار الثلوثية في الرياض.

(١٦٧) المطوع في باريس، نشره النادي الأدبي في الرياض.

(١٦٨) كلمات قضت (في مجلدين كبيرين: معجم بالفاظ اختفت من لغتنا الدارجة أو كادت) نشرته دارة الملك عبدالعزيز في الرياض.

(١٦٩) معجم النخلة في المأثورات الشعبية، نشرته دار الثلوثية في الرياض، عام ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.

(١٧٠) معجم المطر والسحاب، نشرته دار الثلوثية في الرياض في عام ١٤٣٢هـ.

(١٧١) معجم الأنواء والفصول، نشرته دار الثلوثية في الرياض في عام ١٤٣٢هـ.

(١٧٢) معجم الديانة والتدين، نشرته دار الثلوثية في الرياض في عام ١٤٣٢هـ.

(١٧٣) معجم ألفاظ الصيد والقنص، نشرته دار الثلوثية في الرياض في عام ١٤٣٢هـ،

(١٧٤) معجم ألفاظ المرض المرض والصحة في المأثور الشعبي (تحت الطبع).

(١٧٥) معجم ألفاظ الحرف والصنائع في المأثورات الشعبية (تحت الطبع).

(١٧٦) معجم الحيوان عند القامة، نشرته مكتبة الملك فهد الوطنية في الرياض عام ١٤٣١هـ.

(١٧٧) الشيخ العلامة عبدالله بن محمد بن حميد كما عرفته: نشرته دار الثلوثية في الرياض عام ١٤٣٢هـ.

(١٧٨) معجم أسر بريدة في٢٣ مجلداً، نشرته دار الثلوثية في الرياض عام ١٤٣٠هـ.

(١٧٩) المستدين: قصة طبعت في مطبعة النرجس عام ١٤٣١هـ.

المقدمة :

حمداً لله وشكراً وتمجيداً وذكراً، وصلاة وسلاماً دائمين أكملين على نبيه ورسوله محمد الذي بعثه للعالمين بشرى كبرى، ونذيراً لهم وللأمم الأخرى صلى الله عليه وسلم صلوات تترى.

أما بعد.. فإن السفر إلى منطقة سيبريا هو أمنية كل متطلع إلى الأسفار راغب في مشاهدة البعيد من الأقطار، أما من يكون مثلي عمله يتعلق بوجود الإخوة المسلمين في أي بلد من البلاد سواء منها البلدان القريبة والنائية، فإن السفر إلى سبيريا يكون من باب القيام بالواجب، والتمتع بما يصاحبه من الاطلاع على هذه البلاد الغريبة المشهورة ببردها، بل بقسوة ثلجها، وصعوبة العيش فيها، حتى اشتهرت بأنها منفى من منافي طغاة الشيوعية ينفون إليها خصومهم ليموتوا موتاً معنوياً بُعْداً وسحقاً، أو ليموتوا موتاً حقيقياً بالبرد والجوع وعدم الحصول على الإمكانات للحياة.

فكان الذي يذهب إليها مثلي كالذي ورد ذكره في الحديث الشريف: "مثل الذي يقاتل في سبيل الله ويأخذ أجراً كمثل أم موسى: ترضع ولدها وتأخذ أجرها".

ونحن نسأل الله تعالى أن يجعلنا من المجاهدين ي سبيله والعاملين على القيام بواجب الدعوة إليه، ثم إننا نقوم بذلك أيضاً لأنه جزء من عملنا في رابطة العالم الإسلامي والقيام بالعمل الإسلامي واجب، وإذا كان الشخص يعمل عملاً رسمياً في ذلك الميدان فهو إذاً أوجب، لأن ما لا يتم الواجب إلاَّ به فهو واجب.

وكنت قمت بالاطلاع على سيبيريا عندما زرت بلاد ما وراء النهر المعروفة الآن بآسيا الوسطى وما خلفها شمالاً من البلاد التي كان أسلافنا من المؤرخين العرب يسمونها بلاد كفار الترك، وهي الآن بلاد المسلمين القازاق في جمهورية قازاقستان.

وقد زرنا مدينة "ايركوستك السيبرية" الواقعة على يمين بحيرة بايكال، ومنها انتقلنا إلى جمهورية منغوليا، حيث انتهت جولتنا في المنطقة بانتهاء زيارتنا، وغادرناها عائدين إلى بلادنا عن طريق موسكو، وذلك في عام ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م، وكتبت في ذلك كتاباً عنوانه (في شمال شرق آسيا).

وقد دعانا أهل سيبريا من الإخوة المسلمين مرة أخرى لزيارتهم للاشتراك في افتتاح مسجد من المساجد أو لحضور مؤتمر من المؤتمرات، وقد كانوا أرسلوا بعضها يخبرون بأن ذلك المؤتمر سيفتتح في شهر فبراير وهو من أقسى شهور البرد في سيبريا، بل هو أحد الشهرين اللذين ذكرهما قيصر روسيا بطرس الأول فقال فيما نقل لنا عنه: إن لديَّ قائدين لا يهزمان هما شهر يناير وشهر فبراير.

فكيف نذهب في ذلك الشهر إلى عرين البرد، بل ومنخره الذي إذا تنفس منه أرتعش النصف الشمالي من الدنيا القديمة، وإنما يذهب إلى مثل ذلك غيرنا ممن يقنع بالنزول من الطائرة إلى المطار الدافئ ثم للسيارة المدفأة ثم إلى مكان احتفال ليس فيه برد ثم يعود من حيث أتى من دون أن يكون متطلعاً إلى أن يتجول في المنطقة، ويرى طبيعة أرضها وسكانها، بل وحتى أن يعرف عن حيوانها ما يريد أن يعرفه ولذلك لم أرغب في المشاركة في مثل تلك الاجتماعات العاجلة المبتسرة حتى سنحت لي فرصة من وقت لوضع خطة للتجول في مناطق المسلمين في سيبريا فرصة شملت غرب المنطقة حيث أكبر المدن فيها وهي مدينة (أومسك) وما حولها ثم امتدت لتصل إلى شمال سيبيريا حتى حدود الدائرة القطبية حيث لا تغرب الشمس في أيام من الصيف ولا تشرق في أيام من الشتاء، ومع ذلك فيها ممثلة في مدينة (نوفي انغوري) مسجد عامر بالمصلين ويخطط أهلها لبناء مسجد كبير جديد.

ومن تلك المدينة السيبيرية الشمالية في حدود الدائرة القطبية ذهبنا إلى منطقة الأورال التي تعتبر من ناحية الموقع وطبيعة الأرض جزءاً من سيبيريا وإن كانت تختلف عنها في المسمى الإداري، ومن هناك سافرنا بالطائرة إلى مدينة (ايركوتسك) كبرى مدن الشرق السيبيري ومن بعدها سافرنا بالقطار إلى جمهورية البورياك وهم جماعات من المغول لهم جمهورية في شرق بحيرة بايكال فيها مسلمون منحتهم الحكومة في تلك الجمهورية أرضاً ليقيموا عليها أول مسجد فيها بعد سقوط الشيوعية ووعدتهم بأن تساعدهم على بنائه.

وبعد انتهاء زيارتنا لها عدنا مباشرة إلى موسكو في رحلة استغرقت عدة ساعات بالطائرة النفاثة دون توقف.

وقد انتهيت من كتاب عن (غرب سيبيريا) وكتاب أخر في شمال سيبيريا، وكنت كتبت قبل هذين الكتابين كتاباً في أول زيارتنا قبل سيبيريا لمنطقة الشرق الروسي الأقصى عنوانه (الشرق الأقصى الروسي).

أما هذا الكتاب فإنه يشتمل على الحديث عن زيارة لمنطقة في شرق سيبيريا هي منطقة (ايركوتسك) والمراد بذلك مدينة ايركوتسك التي هي عاصمة لما حولها وما هو تابع لها، والحديث عن جمهورية بوريات المغولية، وعنوانه: (شرق سيبيريا) لأنه من سلسلة الرحلات في سيبيريا، وبالله التوفيق.

المؤلف

محمد بن ناصر العبودي

إلي أقصى شرق سيبيريا

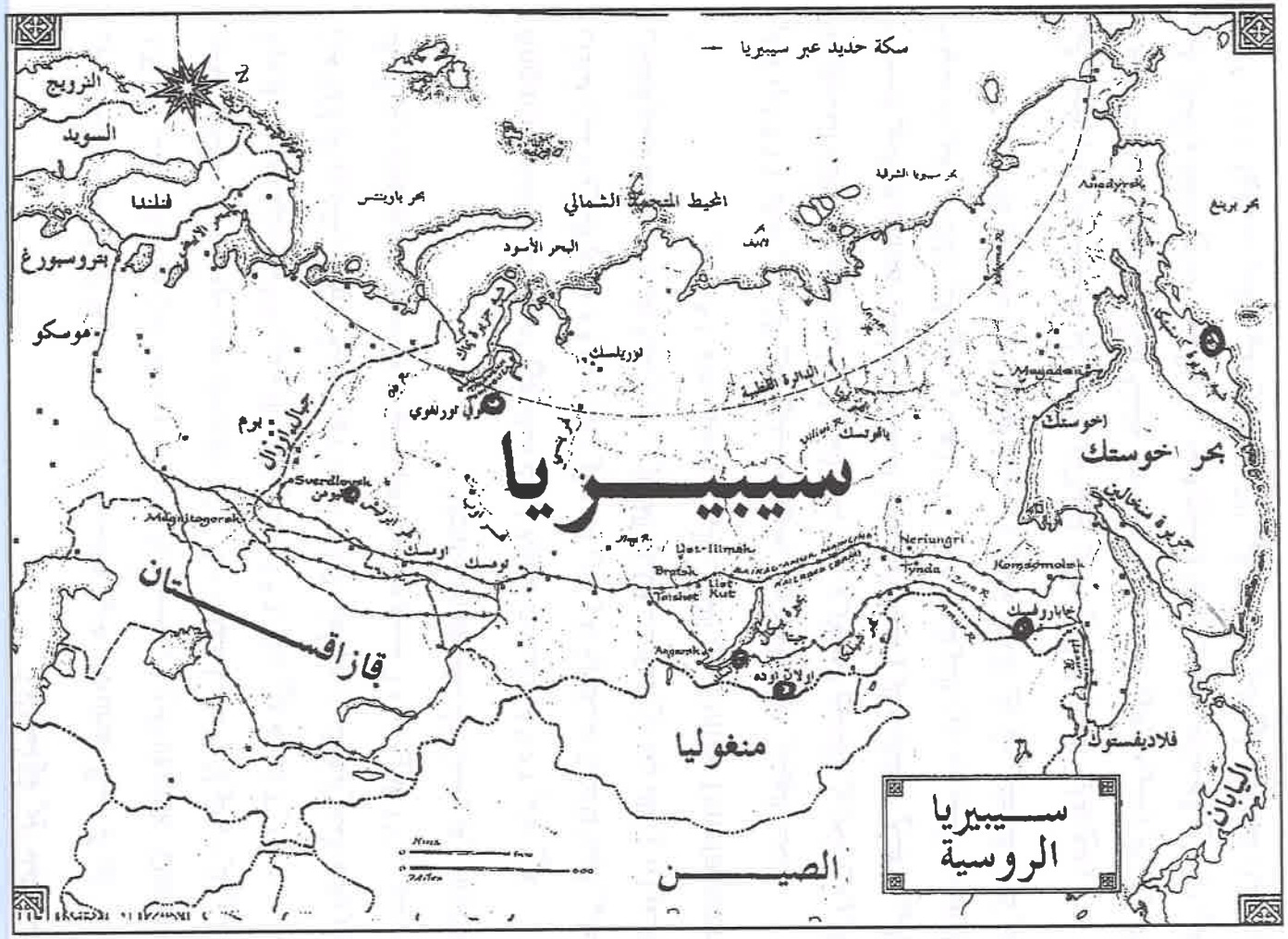
سكة حديد عبر سيبيريا
النرويج
السويد
فنلندا
بحر بارنتس
المحيط المتجمد الشمالي
البحر الأسود
بحر سيبريا الشرقية
بحر برنغ
بتروسبورغ
موسكو
جبال الأورال
بيرم
Sverdlovsk
Magnitogorsk
ارنسك
توبولسك
قازاقستان
منغوليا
الصين
اليابان
سيبيريا
بحر اخوستك
فلاديفستوك
Neriungri
Tynda
Komsomolsk
Anadyrsk
Magadan
سيبيريا الروسية

منطقة ايركوتسك :

إيركوتسك Irkutsk: هي عاصمة لولاية باسمها ايركوتسك أوبلاستي Irkutsk Oblasty تقع في سيبيريا الشرقية وتبعد عن موسكو بنحو ٤٣٦٢ كيلومتراً والولاية مساحتها ٧٦٧.٩٠٠ كيلومتر مربع، وعدد سكانها نحو ٣.١٥٥.٠٠٠ نسمة في عام ١٩٩٦م، ويشكل الروس ٨٨% منهم، و أما قومية بوريات المغولية الذين هم أهل البلاد أصلاً فهم بنسبة ٤%، وتتكون الولاية من ٧ مدن و٢٧ قرية، و٦٠ مستوطنة، وأهم مدنها ارنغانسك Aragansk وبراتسك Bratsk وفورست ايلمسك Vost-ilimisk.

في عام ١٦٥٢م تأسست مدينة ايركوتسك في أعالي نهر انغارا Angara على أنها قاعدة عسكرية لفرض السيطرة الروسية وجمع الجزية من قبائل المغول، وذلك بعد أن تمكنت قبائل القوازق الروسية بقيادة يرماك تيموفيفتش Ermak Timofeievich من التسلل إلى أراضيها عام ١٥٨١م.

وبعد انهيار دولة المغول بغزو صيني من الشرق عام ١٦٦١م، قام الروس بتعزيز تقدمهم العسكري في بلاد المغول وأدت هذه الحركات العسكرية إلى توقيع الاتفاقية الروسية الصينية المسماة كياختا Kiakhta التي قسمت أراضي السهوب بين الدولتين عام ١٧٢٧هـ، وعلى اثر ذلك ازدهرت مدينة ايركوتسك على طريق التجارة بين روسيا والصين بل بالشرق كله.

ومع بداية القرن التاسع عشر الميلادي كانت ايركوتسك من أهم المدن في الشرق الروسي، وهي اليوم مدينة صناعية حديثة ويأتي ترتيبها الحادية عشرة في الإنتاج الصناعي في روسيا وينتج فيها ٣٠% من إنتاج النفط والغاز في روسيا، كما أنها في المرتبة ٣٦ في الإنتاج الزراعي وقدر سكانها ٦٣٢.٠٠٠ نسمة في عام ١٩٩٦م.

وأما المسلمون فيقدر عددهم بنحو ٢٥٠ ألف نسمة وهم من القازاق والتتار ثم الأوزبك والأذار والشيشان وغيرهم من القادمين إليها من مناطق الاتحاد السوفيتي السابق.

وتنتشر المساجد في كثير من القرى والمدن الرئيسية، وفي ايركوتسك نفسها التي يقطنها أكثر من عشرين ألف مسلم يوجد حالياً مسجد قديم يرجع تاريخ إنشائه إلى عام ١٨٨١م، وسبق أن زاره وفد الرابطة في يوم ٩ ذي الحجة عام ١٤١٢هـ، وقد اطلع حينذاك على الأضرار التي لحقت بالمسجد نتيجة الإهمال الطويل وبخاصة التصدع الذي أصاب بعض أساسه وقدم لإمام المسجد خواجه أحمد بن مناسب يوسبوف ومتوليه الأستاذ ناظيف بن رحيم شاه والأستاذ فريد بن سليم جان مدير مركز التتار الثقافي مبلغاً قدره عشرة آلاف دولار نقداً لإجراء الترميمات الضرورية للمسجد وبخاصة في الأساس.

المؤلف يتحدث في جامع ايركوتسك

وكان وفد الرابطة حريصاً في هذه الرحلة أن يتأكد مما تم تنفيذه من الاتفاق عليه فقام بزيارة المسجد في يوم الخميس ١٩٩٩/٧/٢٩م الموافق ١٤٢٠/٤/١٦هـ، ولكن مع الأسف الشديد وجد أن الجزء المتضرر من الأساس لم يرمم كما جرى التنبيه عليهم سابقاً، وإن كان تم بناء سور له وإجراء بعض الإصلاحات في الداخل.

ولم يجد ممن قابلهم سابقاً إلا الأستاذ ناظيف بن رحيم شاه الذي كان متولياً لشئون المسجد حينذاك وقد تعذر المذكور بأعذار واهية أمام جمع من المسلمين، والدكتور عبدالواحد نيازوف مدير المركز الإسلامي في موسكو، ونائب رئيس الإدارة الدينية لمسلمي القسم الآسيوي لروسيا الذي كان حاضراً.

ويقوم حالياً على الإمامة الشيخ فريد مرزا عيد مينغايف ونائبه الأستاذ دمير حبيب الله.

وقد طلب وفد الرابطة إلى جماعة المصلين متابعة الموضوع مع المذكور والمسئولين السابقين للاستفادة من المساعدة السابقة في إجراء الإصلاحات المطلوبة وإفادة الرابطة بما يتم حتى تتمكن من مساعدتهم في احتياجاتهم الدعوية.

وفي بلدة جريم خوفا Cheremkhova التي تقع على نحو ١٥٠ كيلومتراً في شمال غرب ايركوتسك ويقطنها ٧٣.٠٠٠ نسمة والمسلمون فيها نسبتهم نحو ١٥% ويفيد الإمام الشيخ فريد ذالنورينوفيتش زينوراف ورئيس الجمعية الإسلامية أنهم يؤدون الصلاة في شقة مستأجرة وأن السلطات المحلية قد منحتهم قطعة أرض مساحتها نصف هكتار لبناء مسجد، وقد تم مساعدتهم من الرابطة بمبلغ ألف دولار لإعداد الخرائط والتصاميم.

من يكاترينا بورغ إلي ايركوتسك :

وإيكاترين بورغ، هي عاصمة الأورال في جنوب روسيا.

أركبونا حافلة صغيرة خاصة مع مضيفة أرضية توصلنا الطائرة قبل بقية الركاب وذلك لكوننا ضيوفاً أجانب وأنا أحمل جواز سفر (دبلوماسياً)، ولكن كانت المقاعد مرقمة لذلك لم نكن نستطيع الاختيار.

وقد ركبت في المكان الذي أفضله وهو عند النافذة في مقدمة الطائرة وبجانبي المترجم أمير مظفر أما رفيقاي في هذه السفرة عبدالواحد نيازوف ورحمة الله بن عناية الله فكان محلهما معاً في آخر مقعد من الطائرة في الخلف.

والطائرة كلها سياحية ليست فيها درجة أولى، ولا درجة رجال الأعمال، وجميع مقاعدها ستة في الصف، وقد قاربوا بين الصفوف حتى صارت أضيق من الطائرة المروحية الصغيرة التي قدمنا عليها إلى (يكاترينابورغ).

وكل مقاعدها مشغولة بالركاب حتى إنه لم يبق فيها أي مقعد خالٍ.

لقد خشيت من أن يثقل عليها الركاب عندما رأيتهم جمعاً عظيماً بالنسبة إلى صغر حجم الطائرة النسبي، فهي من طراز توبوليف ١٥٤، ولاحظت أن الرفوف التي تعلو المقاعد ويضع فيها الركاب الحقائب اليدوية والأشياء التي يحملونها بأيديهم ومن ذلك بعض الحقائب التي تشحن في مخازن الطائرات في العادة ولكن الركاب يخشون عليها من الضياع فيأخذونها معهم ليس لها أبواب تغلق، بل هي رفوف كالرفوف التي تكون في الحافلة.

وهذا فيه خطر عظيم فيما لو فقدت الطائرة اتزانها لسبب من الأسباب لأن الأمتعة التي على الرفوف سوف تتساقط على الركاب وتؤذيهم وقد تقتل الأطفال ومن كان

ضعيف الجسم أو معتل الصحة، والعادة في طائراتنا وغيرها من طائرات الشركات العالمية أن تكون لهذه الرفوف أبواب تغلق بإحكام قبل أن تقلع الطائرة.

وقد أعلن مكبر الصوت في الطائرة وهي تدرج في مدرج المطار أن الطيران إلى (ايركوتسك) سوف يستغرق ٣ ساعات و٥٥ دقيقة من دون توقف.

وقد أقلعت في الواحدة إلا ثلثاً بعد منتصف الليل، فكان صوتها وهي تزمجر وتهم بالصعود مزعجاً بل مقلقاً لأنه صوت منكر يظهر كما لو كانت بعض الآلات المهمة منها تحتاج إلى تزييت حتى تكون مرنة عند تشغيلها.

وليس المراد أن ذلك مجرد صوت المحركات فهذا دأب الطائرات النفاثة، إلا أن هذه فيما يظهر من أمرها ليس في داخلها تكييف ضد الصوت فينفذ صوت المحركات النفاثة القوية إلى داخل الطائرة وحتى المطار كانت أنواره خافتة، والمنطقة المحيطة به ليست مضيئة كما يكون في المدن العالمية، ولا شك أن مرجع ذلك إلى الاقتصاد في استعمال الكهرباء، وإلى الوقت الذي نحن فيه الآن وهو المباشر لمنتصف الليل حيث الناس يغطون في النوم.

بعد ما استقرت الطائرة في الجو بقليل أسرعوا بتقديم الضيافة وهو العشاء، وإن كانت بعض الشركات العالمية تسميه فطوراً إذا كان بعد منتصف الليل.

فكان عشاؤهم لحم دجاج وأرزاً وسلطة قليلة معها شيء من اللحم المطحون لذلك تجنبتها مثلما تجنبت الدجاج لأنني لا أثق بذبحهم، وربما كان لحم خنزير أيضاً فالمضيفة لا تدري ما هو، ومع ذلك قطعتان صغيرتان من الخبز وقطعة صغيرة من الكعك اللين (الكيك) ولم يقدموا زبدة يمكن أن يؤكل الخبز بها.

في النهاية جاءوا بالشاي على طريقتهم وضعوه كله في إبريق ضخم من المعدن يصبون منه في فناجين الركاب، مثلما كنا نصنع في تقديم الشاي في

بيوتنا في القديم، وظاهر منه أنه قد غلي بالشاي غلياً، ولكن الركاب لضعف الحالة الاقتصادية في بلادهم وبعدهم عن الترف يريدون أن يشربوا شاياً أي شاي، لذلك رأيتهم يستزيدون من المضيفة منه بعد أن يشربوا الفنجال الأول.

وقد تكررت المضايقة الشديدة في هذه الطائرة مثل الطائرة التي قبلها فقد جعلوا المسند الذي يستند عليه الراكب بظهره أي من خلفه رقيق القماش، فكان الشخص الذي يركب خلفك ينصب ركبتيه أو يسند رجليه على المقعد الذي أمامه وهو الذي تكون مستنداً إليه بظهرك فتشعر كما لو كان يغرز ركبتيه في ظهرك، أو على الأقل يضايقك إذا كنت تريد أن تنعس أو تكتب أو حتى تفكر.

ولو كانوا جعلوا ذلك الحاجز خلف الراكب من مادة سميكة قوية مثل باقي طائرات العالم لما شعر الراكب بذلك.

كانت الطائرة متجهة الاتجاه الصحيح إلى مدينة ايركوتسك الواقعة في جهة الشرق ولذلك كنت أرى الشفق واضحاً بل منيراً في جهة الشمال حيث تغرب الشمس في تلك الجهة من هذا الفصل الصيفي كما هو معروف، وينبغي أن يتذكر المرء أن فرق التوقيت بين (يكاترينا بورغ) التي غادرناها و(ايركوتسك) التي نقصدها هو أربع ساعات، وذلك بسب كوننا متجهين إلى جهة الشرق.

ولم يقدموا للركاب وسائد ولا أغطية رغم كون الرحلة طويلة، وفي الليل حيث سينام أكثر الركاب.

هذا ولاحظت أن الشفق الذي كان يبدو في جهة الشمال قد امتد نوره إلى الشرق.

كنت حريصاً على أن أنعس ولو قليلاً، لأن أمامنا برنامجاً مكثفاً في صباح الغد بل وفي مسائه، ولم ننم حتى الآن، ولكن كانت الطائرة ضيقة متعبة، وكان الذي خلفي كأنما يضرب ظهري بركبتيه.

واحتجت إلى الحمام وهو في آخر الطائرة فرأيت عنده عدداً من الركاب ينتظرون قبلي وكانت الرائحة الخبيثة تنبعث منه بقوة إلى درجة أنني كدت أضحك وأنا وحدي لا أحد يكلمني عندما رأيت الركاب القريبين من الحمام ومنهم رفيقي في الرحلة الأستاذ رحمة الله قد ربطوا على أنوفهم مناديل لتقيهم الرائحة المنبعثة من الحمام وناموا وهم على هذه الحالة.

وعندما دخلت الحمام رأيت أرضه مستنقعاً من الماء لا أدري أبول هو أم ماء متسرب من صنابير الماء، وقد سقط بيدي صنبور الماء عندما أدرته فاضطررت إلى إعادته إلى مكانه.

ولاحظت أنه لا توجد في الحمام أية كتابة أو إرشادات لكيفية استعماله وللمنع من بعض أوجه الاستعمال كما عليه الحال في حمامات الطائرات الأخرى، مع أنهم لو فعلو ذلك لما كان شاقاً عليهم، لأن اللغة الروسية وحدها يعرفها الجميع منهم وهي وحدها كافية في الكتابة، مثلها في ذلك مثل الإعلان الذي كان باللغة الروسية وحدها، ليست معها لغة أخرى.

وليس في الحمام ورق للتنشيف، وإنما فيه فوطة من القماش معلقة يمسح بها من شاء أن يمسح يديه، ومعرضة للأذى الذي يكون بأيدي من يستعملونها، إذا كان فيها أذى.

هذا وقد اختلط نور الشفق القادم من الشمال بنور الفجر القادم من الشمال الشرقي حتى أشرقت الشمس من فوق السحاب فصرنا نطير في منطقة صاحية فوق السحاب من دون أن نتبين شيئاً مما تحتنا من الأرض لارتفاع الطائرة ووجود السحاب بيننا وبينها في أغلب الوقت.

وعند الاقتراب من جو مدينة (ايركوتسك) تنزلت الطائرة من عليائها وأعلن مكبر الصوت فيها أن درجة الحرارة في (ايركوتسك) هي ١٨ درجة مئوية، وهي درجة جيدة لأننا لا نزال في الصباح، ولم أكن أتوقع أي برودة في الجو، لأنني عرفت أن أجواء سيبيريا الثالجة في الشتاء تكون معتدلة تميل للحرارة في الصيف.

وكما قلت كان إعلانهم كله بالروسية ولكن كان الشيخ (أمير) المرافق يترجمه لي إلى العربية، وهو يجلس بجانبي.

ورأيت في المنطقة نهراً يتلوى، ربما كان نهر انقارا الذي يخرج من بحيرة (بايكال) الشهيرة التي تقع عليها المدينة، أو نهر لينا الذي ينبع من قرب بحيرة (بايكال) ويصب في المحيط المتجمد الشمالي، فلم يكن في الطائرة أية نشرات أو أوراق أخرى ولا حتى خريطة رحلة الطيران، ولا كلام عما تحتنا من الأراضي أو المعالم الأرضية.

إلا أنني عندما قاربت الطائرة إلى الوصول رايت طرف بحيرة بايكال التي يعني اسمها: البحيرة الغنية بالتركية القديمة، وتقع المدينة على جزء عريض واسع من نهر (انقارا) الذي يخرج من البحيرة وهو متصل بها ولكن المدينة واقعة عليه وليس عليها، إلا إذا اعتبرنا ذلك الجزء العريض من النهر جزءاً من البحيرة على اعتبار أن النهر كله جزء من البحيرة، وذلك غير صحيح لأن البحيرة راكدة والنهر جارٍ.

ثم بدت مدينة (ايركوتسك) تحيط بها الغابات من كل جهة إلاَّ من مجرى نهر (انقارا) الذي تقع عليه، وبدت مجتمعة المنازل غير متفرقة فهي في هذا مثل (يكاترينا بورغ) وليست كأكثر المدن الروسية متفرقة الأحياء، وتفصل بين

أحيائها السكنية مساحات كبيرة من الفراغ، وربما كان سبب ذلك أنها كانت مسكونة في القديم قبل زمن الشيوعيين الذين كانوا يحرصون في تخطيطهم على أن تتباعد أحياء المدينة بعضها من بعض أو هذا هو ما لاحظته على المدن التي بنيت في عهدهم أو بنيت أحياؤها في عهدهم سواء أكان ذلك في جمهورية روسيا أم في خارجها الأوروبي مثل دول البلطيق.

في ضواحي مدينة (ايركوتسك)

وتجلى الخصب العظيم الذي من مظاهره الخضرة الشاملة من أشجار الغابات الملتفة ومن الأخشاب التي تكسو الأرض ببساط سندسي، ومما يزيد الشعور بالخصب نهر انقارا الواسع المجرى مما يلي المدينة وهو يخرج من بحيرة بايكال متصلاً بها كما سبق.

وقد اجتمع في منطقة المدينة والريف الذي حولها منظر الغابات في الأماكن المرتفعة ومنظر الحقول في الأراضي السهلة المنخفضة.

هكذا رأيتها اليوم وكنت زرتها قبل ذلك في عام ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م، وهي المدينة السيبيرية الوحيدة التي سبقت لي زيارتها قبل هذه المرة، وكان ذلك في أوائل شهر مايو، وفي أدبار الشتاء حتى إن أجزاء من نهر (انقارا) من التي صارت كالبحيرة رأيت أطرافها لا تزال متجمدة آنذاك، وكان كل ما على وجه الأرض فيها وما حولها يبدو رمادياً كالح المنظر بعد ليل الشتاء الطويل الصارم البرد، فعجبت من الفرق بين الحالين لهذه المنطقة، وقد ذكرت زيارتي الأولى لمدينة (ايركوتسك) وبعدها زيارة جمهورية منغوليا في كتاب: (في شمال شرق آسيا)- كما سبق.

مطار ايركوتسك :

هبطت الطائرة في مطار ايركوتسك في الرابعة والثلث صباحاً بتوقيت (يكاترينا بورغ) التي قدمنا منها ويساوي ذلك الثامنة والثلث صباحاً بتوقيت ايركوتسك، لأن فرق التوقيت بينهما هو ٤ ساعات، وقد استغرق الطيران أربع ساعات إلاَّ ثلثاً وليس ٤ ساعات إلا خمس دقائق كما كانوا أعلنوا من الطائرة حسبما ترجمه لي المترجم.

كانت مدارج المطار خضراء كثيفة وإن كان يعلو بعضها شيء من الاصفرار، ولم يتحرك الركاب من أماكنهم في الطائرة رغم وقوفها، ووقوف محركاتها عن الدوران وذلك انتظاراً منهم لكي ينزل الطيارون قبلهم كما هي عادتهم في ذلك.

وجدنا في استقبلنا اثنين من الإخوة معهما سيارتان، وقد لبثنا وقتاً قبل مجيء حقائبنا من الطائرة، مع أنها طائرة نفاثة أخذوا يخدمون من يركبون فيها بنقل أمتعتهم إليها وانزالها منها على خلاف ما كان عليه الحال أيام الاتحاد السوفيتي حيث كان على ركاب جميع الطائرات أن يحملوا أمتعتهم إلى الطائرة وينزلوها منها بأنفسهم، عند الوصول مثلما يكون ذلك عند الصعود إلى الطائرة.

سرنا من المطار إلى المدينة مع طريق مزدوج، ولكنه ضيق فيه جزيرة من الأعشاب الوحشية الخضر تفصل بين طريق السيارات الذاهبة والآيبة، ثم صار الطريق مع قرب دخول المدينة واحداً للسيارات المتقابلة يفصل بينها خطان أبيضان.

ومع ذلك لم يكن الطريق حديثاً لأنه يرتفع إذا وصل مكاناً مرتفعاً ويهبط إذا وصل مكاناً منخفضاً، وكل شيء نراه قد شملته الخضرة، وهي خضرة طبيعية، وذلك ظاهر من حالها ومن عدم وجود ما يدل على أنه يسقى، لأن الأمطار في فصل الصيف تكون غزيرة، أما في الشتاء فإن الثلوج تنزل كثيفة فتتراكم على الأرض وترين عليها أشهراً طويلة.

ومن أهم ما تتميز به هذه المدينة على التي قبلها كثرة البيوت من الخشب، وذلك لكثرة الغابات، وكانت البيوت القديمة التقليدية فيها كلها من الخشب وأكثرها مطلي بطلاء أخضر، ولها أفنية مكشوفة (أحواش) ضيقة محاطة بأسوار من أعواد الشجر الدقيقة المهذبة، وقد تكون على هيئة شرائح من الأخشاب الدقيقة لا يزيد ارتفاعها عن المتر الواحد.

وكان أهم ما استقبلنا منها قطار الكهرباء القصير المسافة المسمى في مصر بالترمواي وفي الشام بالترام، وهو يسير بالكهرباء ولا يزال موجوداً في

شوارع جميع المدن الروسية وغيرها من بلدان شرق أوروبا حتى غير الشيوعية وقد ألغي من المدن العربية بحجة أنه يعرقل المرور.

وهذه حجة غير كافية لأنه إذا عرقل المرور فإنه يسهل نقل الناس بأسعار رخيصة.

ثم وصلنا قلب المدينة أو القسم الكثيف السكنى منها وهو ذو أبنية غير عالية من ذوات الطبقات القليلة كالثلاث أو الأربع طبقات.

وبعض البيوت تبدو منفردة ولكنها كئيبة المنظر، إذْ كلها ليست ذات طلاء جيد وتؤثر الثلوج والأمطار الغزيرة في طلائها، فإذا لم يجدد بدت كالحة كئيبة.

وقفت السيارة عند فندق ذكروا أنه مناسب ولكنهم لم يجدوا فيه غرفاً خالية ويقع في وسط المدينة.

ثم ذهبنا إلى فندق انتورست وهي في سلسلة فنادق معروفة بهذا الاسم عندهم.

وكانت توجد في جميع مدن الاتحاد السوفيتي السابق لأنها حكومية، وهي رخيصة بالنسبة إلى الفنادق الكبيرة رغم كبرها وغير أن بعضها مثل هذا الفندق قد ارتفع سعره حتى صار غالياً جداً، وذلك أن الحكومة باعته لتجار بل مستغلين يتصلون بشركات السياحة العالمية، ويتفقون معها على إرسال السياح إليهم.

ويقع هذا الفندق موقعاً جميلاً من شاطئ نهر انقارا حيث يرى من نافذة الغرفة ومع ذلك اعتبرته غالياً لأن غرفه صغيرة وإن كانت مؤثثة بأثاث لا بأس به لولا ضيقه فالسرير واحد ضيق مثلاً، وأجرتها ١٢٠ دولاراً وهذه أجرة مرتفعة بالنسبة إلى ضيق الغرفة، وإلى رخص أجور العمال والموظفين في روسيا، لأن مثله في البلدان الأوروبية لا تزيد أجرة غرفته على ٥٠ أو ٦٠ دولاراً رغم غلاء العمال والأجور فيها.

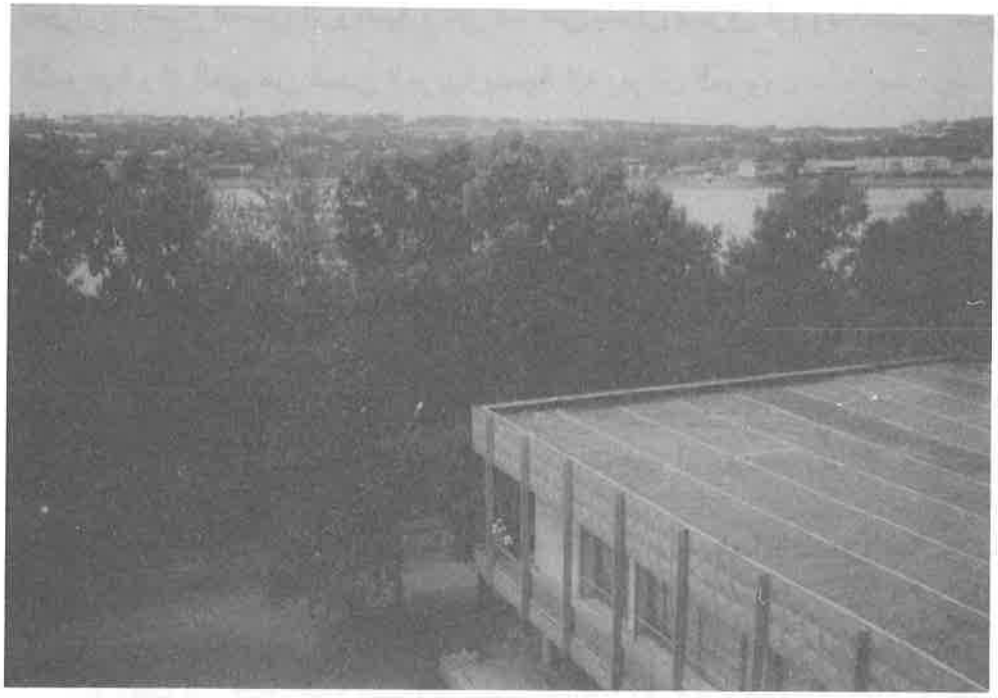

المنطقة التي يقع فيها الفندق على ضفاف نهر (انقارا) في مدينة ايركوتسك

ووجدت الأمر فيه كما هو في غيره من قبل بأن تكون في كل طابق منه امرأة قد تجاوزت منتصف العمر تكون مسئولة عن كل ما يتعلق بالغرف، ومن ذلك أن مفاتيح الغرف تكون معها تعطي النزيل المفتاح إذا أحضر ورقة من إدارة الفندق بذلك، وإدارة الفندق لا تعطيه الورقة إلا إذا دفع أجرة الغرفة مقدمة.

بت البارحة ساهراً لم يغمض لي جفن وأنا أعرف أن أمامنا برنامجاً مرسوماً لهذا اليوم، لذلك حرصت على أن أسرع إلى الغرفة فجلست في بهو الفندق بينما كان الأخ المرافق الأستاذ رحمة الله بن عناية الله وأهل البلاد يعملون في إجراءات النزول في الغرف وهي إجراءات طويلة ومعقدة في العادة لا لكونها كذلك في نفس الأمر، ولكن لكون العمال يترددون في العمل ولا يسرعون فيه، وقال لي أحد الإخوة (إن رقم غرفتك هو كذا وهي في الطابق الخامس).

فصعدت إلى ذلك الطابق وطلبت من الموظفة المسئولة أن تفتح لي الغرفة فلم تمانع ثقة منها بي إلى أن جاءتها الورقة المعهودة ووقعت في نوم عميق لمدة قصيرة، وكان لنا موعد مع الحاكم العام للمنطقة في الساعة الثانية عشرة والنصف.

فذكرت بهذه المناسبة زيارتي الأولى لهذه المدينة وكيف كانت زيارة غير رسمية أو أشبه ما تكون بالدروشة- نسبة إلى أفعال الدراويش وهم الغرباء الذين لا يعرفون الناس ولا يعرفونهم فكنت أنام إذا أردت وأصحو إذا أردت، ولذلك قلت هذا اليوم ما سبق أن قلت مثله في أيام سابقة: (ما أحسن الدروشة).

زيارة حاكم المنطقة :

في مكتب نائب حاكم منطقة ايركوتسك على يساره الأستاذ عبدالواحد نيازوف، فالمؤف على يمينه أحد موظفي مكتبه

كنا في الساعة الثانية عشرة نغادر فندقنا، فندق انتورست قاصدين مقر الحاكم العام للمنطقة التي هي بمثابة الولاية وهي بالفعل كبيرة وواسعة.

دخلنا إلى دار الحكومة فصعدنا مع درج طويل ولكنه لطابقين فقط وجدنا النائب الأول للحاكم في انتظارنا واعتذر بأن الحاكم العام هو خارج روسيا الآن، وإلا لكان استقبلنا، وقال: يسرني باسمه وباسم المنطقة كلها أن أحييكم واسم نائب الحاكم (فيلانتين يبوف).

كان النائب الأول للحاكم طويل القامة مسناً، أو يبن كبر السِّن عليه وإلا فإنهم لا يتسامحون في العمل بعد سن التقاعد مع أنه فيما يظهر قد وصل إلى هذه السن.

وفي مكتبه مائدة اجتماعات طويلة تتسع لنحو عشرين شخصاً.

كان مصورو التلفزة معنا منذ أن دخلنا دار الحكومة وحتى ونحن نصعد الدرج إلى مكتب الحاكم العام، ولذلك عندما أخذنا أماكننا حول مائدة الاجتماع كانوا موجودين أيضاً يصورون فأراد الحاكم أن يتكلم بشيء ثم حُصِر بمعنى أنه لم يستطع الكلام فقال: أترك الكلام لكم.

كل ذلك كان يتم بالروسية فيترجم لنا المترجم المرافق (أمير مظفر) ونرد عليه بالعربية أو نتكلم ابتداء بها فيترجم ذلك إلى الروسية.

بدأت الكلام ببيان الغرض من مجيئنا إلى هذه المنطقة وأنه لتقوية العلاقات الثقافية مع الإخوة المسلمين فيها التي تتبعها في العادة تقوية العلاقات الأخرى كالعلاقات الاقتصادية مع سائر أبناء الشعب، وتعلمون أن العلاقات بين حكومة المملكة العربية السعودية والجمهورية الروسية هي علاقات جيدة، نحن نعمل في رابطة العالم الإسلامي وهي منظمة شعبية عالمية تعمل في الميدان الثقافي، لذلك ستكون مباحثاتنا مع الجمعية الإسلامية في هذه المنطقة متركزة

على كيفية التعاون بين الطرفين على ما فيه نفع العلاقات الإسلامية وبالتالي العلاقات العامة، ونحن نستطيع أن نطرح أشياء يمكن التعاون بشأنها مثل المساعدة على بناء المساجد وإرسال المصاحف والكتب الإسلامية، وتقديم المنح الدراسية في الموضوعات الإسلامية العربية.

مع نائب حاكم منطقة ايركوتسك في مكتبه على يساره الأستاذ عبدالواحد نيازوف ثم المؤلف على يمينه أحد موظفي مكتبه

ثم قلت: وسوف نخبر إخواننا العاملين في الميدان الاقتصادي في بلادنا مثل الغرف التجارية بما لمسناه من رغبة في هذه البلاد في التعاون الاقتصادي، بل إنشاء علاقات تعاون اقتصادي، وأن فرص التعاون موجودة، بل كبيرة.

وقد ذكر نائب الحاكم في حديثه الاعتذار عن غياب محافظ ولاية ايركوتسك، ثم رحب بزيارة وفد الرابطة لمدينة ايركوتسك، ثم تحدث عن المسلمين وغيرهم من الطوائف الدينية الذين يتمتعون بالحرية والمساواة، وأن الحكومة تساعد أتباع الديانات بدون استثناء، وأن المسلمين يعيشون في هذه الأراضي منذ وقت طويل، وقد أعيدت لهم مؤخراً مساجدهم التي صودرت أيام الحكم الشيوعي، كما أنهم يمنحون الأراضي في القرى التي لا توجد فيها مساجد ويرغب المسلمون بناء مساجد لهم.

ثم أجبته على كلامه بأن رابطة العالم الإسلامي التي مقرها مكة المكرمة تحظى بعناية ورعاية حكومة خادم الحرمين الشريفين وهي منظمة إسلامية عالمية تعمل على توثيق الصلات الثقافية مع المسلمين بدون أن تتدخل في شئونهم الداخلية، وأن توثيق العلاقات الثقافية هي وسيلة لتعزيز العلاقات الأخرى وتطوير الصلات مع الحكومات والمجتمعات التي يعيش فيها المسلمون، وأن هذه العلاقات بين المنطقتين هي علاقات قديمة تعود لأكثر من ألف عام عندما كانت الوفود الإسلامية تأتي إلى أعلى الفولغا حيث كانت حكومة البلغار الإسلامية.

ثم أشرت إلى ما يتمتع به المسلمون من إمكانات وتسهيلات في بناء المساجد وفتح المدارس على قدم المساواة مع غيرهم من المواطنين، مما يؤكد على أن التعايش السلمي هو السائد في المجتمع بفضل الولاة أمثاله.

مقابلة رئيس البلدية :

في مقر بلدية ايركوتسك المؤلف على يمينه الأستاذ عبدالواحد ينازوف وعلى يساره إمام مسجد ايركوتسك وخلفه المترجم (أمير مظفر)

خرجنا من عند النائب الأول لحاكم المنطقة وقد ودعنا عند الدرج الخارجي لمكتبه معرباً عن امتنانه لزيارتنا، فذهب بنا الإخوة إلى مقر البلدية حيث قابلنا رئيس بلدية (ايركوتسك) يوري بوشكن وكان لقاؤه معتاداً لم أر فيه ما يستحق أن يسجل إلا قوله: إنا ٨٠% من الأراضي التي حول المدينة تغطيها الغابات، وإن سكان مدينة (ايركوتسك) عددهم ستمائة ألف من مجموع سكان محافظة (ايركوتسك) والأراضي التي تتبعها إدارياً مع القرى والبلدان فيها، ويبلغ عدد سكانها ثلاثة ملايين نسمة.

وفد الرابطة والمرافقون مع رئيس بلدية ايركوتسك في مقر البلدية

بحيرة بايكال :

لابد لمن يزور (ايركوتسك) أن يزور بحيرة بايكال التي تقع المدينة على ضفة تتبع لنهر انغاريا الذي يفيض من البحيرة.

ركبنا قبيل الواحدة مع الأخ تيمور بن الياس وهو انقوشي من جمهورية الأنقوش التي تقع في شمال جبال قيق أو قبج وهي المسماة الآن بالقوقاز أو القفقاس، وهو رجل تاجر ومع ذلك يعمل ممثلاً رئيس جمهورية الانقوش في هذه المنطقة.

وينبغي أن يتذكر المرء أن هذه المنطقة وجمهورية الانقوش كلها داخل في جمهورية روسيا الاتحادية.

ركبنا معه سيارة له يابانية جديدة يقودها بنفسه، فانطلق خارجاً من مدينة (ايركوتسك) مع ضاحية كلها غابات ملتفة، حتى إن حواشي الطريق المسفلت قد نمت فيها الأعشاب الخضر كثيفة عالية بحيث لو ربطت فيها بقرة برباط طويل لأكلت منه حتى شبعت وربضت من دون أن تحتاج إلى تجول.

جانب من بحيرة بايكال

وتوشح الأعشاب البرية وترقشها زهور برية من زهور الصيف الذي هو الربيع عندهم ما بين صفر وبيض وبنفسجية.

والطريق هنا جيد لولا ضيق فيه، وقد رقعوا أماكن منه كان الزفت فيها قد فسد، ومع ذلك ليس كالطرق الحديثة عندنا يسير على مستوى يكاد يكون واحداً، بل إنه يرتفع بارتفاع الأرض وينخفض بانخفاضها، وطبيعة الأرض هنا غير مستوية، بل إن السهول فيها غير واسعة.

وكان الأخ تيمور يسرع في قيادة سيارته لأنه واثق منها لكونها جيدة، وأنا لا أريد أن يسرع من أجل أن استجلي الطريق وما حوله وأصور من السيارة ما أراه يحسن أن يصور، ومنعتني اللياقة من أن أقول له ذلك، وهو الذي دعانا متطوعاً للنزهة في بحيرة (بايكال) جزاه الله خيراً.

غير أن الأمر بعدم السرعة جاءه من الشرطة، إذا أوقفوه، و قالوا له: إنك تسرع في سيرك، ثم اطلعوا على أوراقه وأوراق السيارة وأظن أن الإخوة المرافقين ومنهم المفتي نفيع الله والأستاذ عبدالواحد نيازوف كلموه بشأننا فتركه وشأنه.

على ضفاف البحيرة العميقة :

تعتبر بحيرة (بايكال) أعمق بحيرات العالم على الإطلاق.

ومعنى اسمها: البحيرة الغنية وهو من التركية القديمة (باي) تعني: غنية، وكال: بحيرة.

بعد أن قطعت السيارة ٥٥ كيلومتراً منذ أن فارقنا مدينة (ايركوتسك) وقفنا على شاطئها في مكان أشار القوم إلى وسط البحيرة بحذائه، وقالوا إن هنا يبدأ حد نهر انقارا الذي يفيض من البحيرة، ولم أجد أية علامة لذلك فالماء كثير ولا يبدو جارياً لسعة البحيرة وعمقها، و إن لم تكن عريضة في هذه الجهة فنحن نرى ضفتها الأخرى بوضوح.

الطريق بين مدينة (ايركوتسك) وبحيرة بايكال

يتألف المكان الذي وقفنا فيه من عدة بيوت خشبية أكثرها رغم ذلك من طابقين، رغم أن البيت كله من الخشب، ولا توجد فيها بيوت من غير الخشب.

وهذه البيوت يسمونها (بيوت الترفيه) لأنها تسكن في فصل الصيف خاصة وتخلو خلواً تاماً في أيام البرد التي هي أكثر من أيام الدفء عندهم، وذلك لأنهم لابد لهم في الشتاء من تدفئة قوية لا يمكن العيش بدونها لقسوة البرد وشدته.

دخلنا أحد البيوت وأظن أنه لمضيفنا الأخ تيمور بن إلياس أو هكذا بدا لنا أمره، ونفذنا منه إلى شاطئ البحيرة مباشرة حيث يوجد درج خشبي ينزل إلى قرب مستوى ماء البحيرة لأن الشاطئ مرتفع.

ووقفنا على شاطئ البحيرة الذي هو غاية في الجمال في هذا اليوم، فالشمس مشرقة لا يشوبها شيء من غيم أو نحوه، وماء البحيرة صافٍ رقراق، وارض الشاطئ أو ما ظهر منها للعيان غاية في الخضرة، وقد تركوا بعض أشجار الغابات التي كانت موجودة على الشاطئ قبل أن تقام هذه البيوت، ترفرف بظلها وأغصانها وفروعها الريانة على البيوت وعلى أطراف الماء حتى يخيل إليك أنها سوف تكرع فيه.

مع الأخ تيمور الياس والرفقة في شرفة مسكنه على بحيرة بايكال

ورأينا بعض الإخوة قد سبقونا للمكان، وذلك لكونهم كانوا يعملون في إعداد الغداء فيه، ولم نكن نعرف من قبل، إلا أننا سنذهب للبحيرة، ولم يحدثنا أحد منهم عن هذا البرنامج من الغداء وما بعده، إلا أنني تضايقت من كوننا

ننفق وقتاً طويلاً على شاطئ البحيرة في انتظار الغداء ونترك رؤية الأشياء الأخرى غير أن ذلك لم يكن في محله فالإخوة جزاهم الله خيراً قد عرفوا طبيعتي ومحبتي للاطلاع على الأشياء المهمة والغريبة، لاسيما أنني قد زرت مدينة (ايركوتسك) في السابق ورأيت وسطها وضواحيها وما قرب منها من نهر أنقارا، بل إننا كنا في المرة الأولى ركبنا عباب المنطقة العريضة من النهر على سفينة تنقل الناس من المدينة إلى أماكن تابعة لها خلف النهر.

وكان يرافقني آنذاك الأستاذ محمد محمود حافظ الذي كان يشغل وظيفة (المدير العام للإعانات) في الرابطة، والأستاذ رحمة الله بن عناية الله مدير إدارة الدراسات في الرابطة في ذلك الوقت، وهو يرافقني في هذه الرحلة ليس معي من بلادي غيره.

وعندما أبديت إعجابي بهذا المكان والمناظر التي يراها المرء منه قال الأخ تيمور: يأتي السياح إلى مدينة (ايروكوتسك) من أجل مشاهدة البحيرة، وما يحف بها من مناظر جميلة.

قضينا وقتاً ممتعاً مع الأخ تيمور بن إلياس في بيته الذي يعتبر هذا المرسى للقوارب الصغيرة تابعاً له ولبيتين آخرين مجاورين ولا ترسو فيه إلا قوارب النزهة التي لأهل هذه البيوت.

كان صعودنا مثل هبوطنا بدرج خشبي تسمع له تعتعة عندما تطأه الأخفاف- جم خف- وهو الحذاء، ثم صعدنا مع درج آخر إلى غرفة أسموها غرفة الملابس حيث يخلع الناس فيها ملابسهم الثقيلة إذا كان الجو بارداً.

وبجانب غرفة الملابس هذه شرفة مكشوفة تطل على البحيرة يحجزها عنها حاجز لأنها مرتفعة عن مستوى الأشجار، والظاهر أنهم قطعوا الشجر الذي كان يحجب عنها منظر البحيرة نظراً كاملاً.

ويسافر البصر في جو من المتعة فوق صفحة المياه الرقراقة من البحيرة حتى ينتهي مطاف النظر، ولا تقول حتى يصطدم بالربى الخضرة المنقادة التي تقع في الشاطئ الآخر وهو الغربي من البحيرة ونحن كنا على شاطئها الشرقي.

صورة مع إمام مسجد ايركوتسك..... على ضفاف بحيرة بايكال عند حد بايكال من نهر انقارا

ولقد أعجبت بهذا المنزل الخشبي الخلوي، لأن كل ما فيه وما حوله يستحق الإعجاب، ولو كان قريباً من بلادي لرأيتني أفكر في أن أشتري بيتاً مثله.

ورغم كونه بيتاً للنزهة والانتجاع فإنه مؤلف من طبقتين وشيء وفيه غرف عديدة سألت الأخ تيمور وقد عرفت أن البيت له عما إذا كانوا يأتون في الشتاء إلى هذا المكان، وبخاصة أن المناظر فيه تختلف عما هي عليه الآن، فذكر أنهم لا يأتون في الشتاء لأن قسوة البرد واختلاف المناظر حيث لا يوجد عود أخضر ولا شيء يشعرك بالحياة، إلا إذا حلت بالبلاد موجة دافئة فيمكن لهم زيارة البيت لمدة قصيرة، أما الإقامة فيه في الشتاء ولو مؤقتة فلا.

وذكروا أن مياه البحيرة تتجمد في الشتاء فتعطي منظراً جميلاً لمن ينظر إليها من مكان دافئ، أما من ينظر إليها في العراء فإنه لا يستطيع أن يمضي في تأملاته لقسوة الطقس الذي قد يصل إلى ٤٠ درجة تحت الصفر، ومتوسط البرودة المعتادة هي ٣٠ درجة مئوية تحت الصفر.

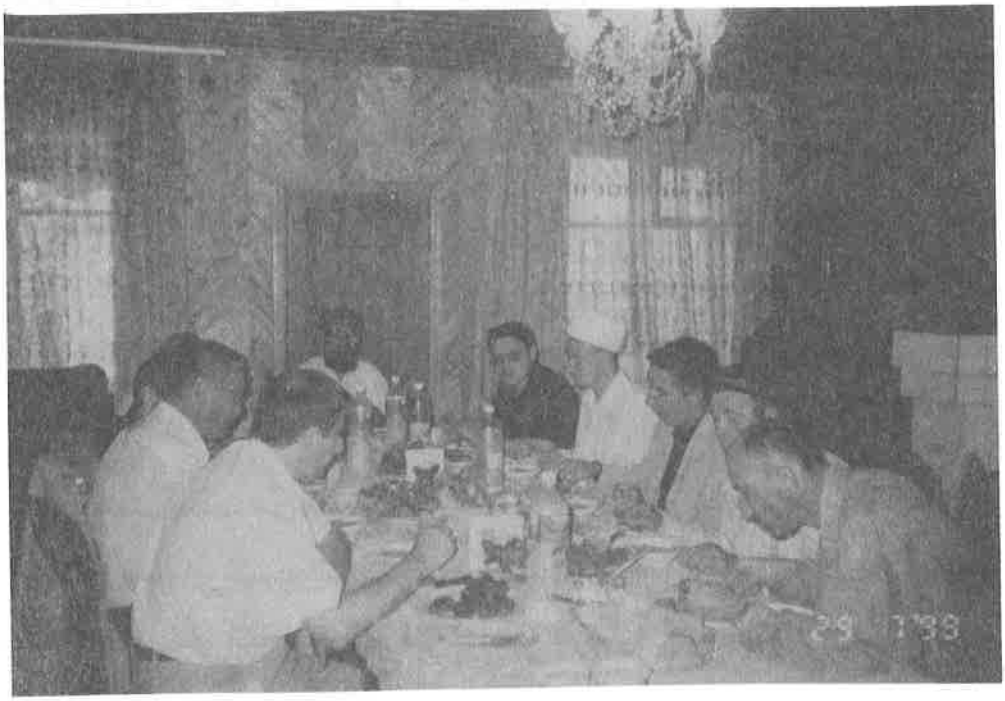

مائدة الغداء التي أقامها لنا الأخ تيمور في بيته الواقع على ضفة بحيرة بايكال

غداء البحيرة :

في جو من الإمتاع طلبوا منا أن نصعد إلى الطابق الأعلى من البيت لتناول الغداء فوجدناهم قد نصبوا مائدة واسعة عريضة تكفي لجلوس ٢٥ شخصاً، وقد وضعوا عليها مقدمات الطعام من السلطات والجبن و معها الأشربة المنوعة الغازية والمياه المعدنية وهي عندهم تكون مثقلة بالغاز لأنهم يضيفونه إليها.

كانت المأدبة كريمة سخية جداً، ومن غرائب ما فيها شربة البطاطس المطحون والخضروات الأخرى المطحونة أيضاً، وتؤكل هذه الأشربة بالشوكة لأنها غليظة وهي وطنية انقوشية كنا جربنا مثلها على مائدة في مدينة (توبولسك) وذكرتها في كتاب: (شمال سيبيريا).

وقد أحضروا إلى المائدة أطعمة متنوعة كانوا يبعدون الأطباق التي ينتهي الأكلون منها ثم يحضرون أطباقاً أخرى فيها أطعمة أخرى.

وأخيراً جاءوا بالطبق الرئيسي وهو قطع ضخمة من لحم الضأن الذي ذبحوه بأنفسهم وظني أنه أكثر من ذبيحة واحدة، وهو لحم لذيذ الطعم لأن غنمهم تأكل من مراعٍ طبيعية، سواء منها ما رعته الغنم من دون حش أو قطع أو ما قطعه أهلها وخزنوه علفاً في الشتاء.

وكنت حدثت من قبل أن الأغنام إذا نزل الثلج تبحث عن المرعى من العشب وصغار الشجيرات بأظلافها وهي أطراف قوائمها تزيل عنه الثلج وتأكله حتى يكثر الثلج ويتراكم فلا تستطيع الوصول إلي العشب.

وقد خصها الله تعالى بصوف كث يؤلف طبقة بعد طبقة لحمايتها من البرد في أول الشتاء، أما إذا اشتد البرد فإنه لابد من إدخالها في الحظائر التي يكونون قد أعدوها لها من قبل، واختلف الذين سألتهم عن حالها في الشتاء، أتحتاج حظائرها إلى تدفئة أم تكفي الحظائر إذا كانت سميكة، فبعضهم قال إنها تحتاج إلى تدفئة وآخرون قالوا: إن أهل الغنم يحشرونها حشراً في مكان ضيق حتى تدفئها حرارة أجسامها ولا تحتاج إلى تدفئة.

وعلى أية حال فإن موضوع تدفئة الماشية ليس بالصعب في هذه البلاد سواء في الزمن القديم، حيث الغابات والأخشاب التي تصلح للوقود والتدفئة أو في الوقت الحاضر حيث التدفئة بالمياه الحارة والبخار هي عامة واصلة لجميع المدن بأنابيب ضخمة ظاهرة.

هذا ومن بين أنواع الطعام التي أحضروها أنواع من (المحشي) منه ما هو محشو باللحم المفروم، ومنه ما هو محشو بالخضرات.

وعندما أكل القوم كفايتهم من الطعام وقد أكلوا أكلاً لمّاً لطيب الهواء وطيب المجلس، حضر فتيان ممن كانوا يخدمون المائدة من أقارب الداعي (تيمور الياس) أو من أصدقائه فحملوا كل ما كان على المائدة ثم جاءوا بمناشف ونظفوها كلها حتى كأن لم يكن أكل عليها من قبل، ثم جاءوا بأنواع الفاكهة وكلها مستوردة غالية فيها التفاح والبطيخ الأخضر (الجح) والموز ثم جاءوا بالحلوى والسكر مع الشاي.

هذا ومضيفنا مع أخيه وابنه في خدمتنا لم يرض أحد منهم أن يجلس مع ضيوفه على المائدة، ولا أن يستريح من الوقوف، فهذه عادة لهم في بلادهم.

وعلى ذكر عدم المشاركة، أقول: إن حاكم المنطقة عندما زرناه اليوم عين لمرافقتنا امرأة من مكتبه مثل ما فعل حاكم منطقة الأورال غير أن هذه لم تنبس ببنت شفة، ولم تركب معي في السيارة ونسيناها حتى لم نذكرها إلا عندما رأيناها تتغدى مع نساء مضيفنا في غرفة ثانية غير التي كنا نتغدى فيها.

وينبغي أن يلاحظ أنهم لا يخبروننا باسم المرافق ولا بكونه رجلاً أو امرأة، بل أحياناً لا نعرفه، ولكن هذه عادة عندهم أن كل ضيف يعتبرون أن له قيمة عندهم يرسلون معه أحد موظفيهم لينضم إلى الذين يرحبون به.

وممثلة الحكومة في هذه المنطقة لم نعرفها، وكانت تركب في سيارة المرافقين وتسير خلف سيارتنا وقد تعدت مرحلة الشباب.

شكرت مضيفنا الأخ تيمور على مائدته الحافلة التي أكل منها معنى ١٤ شخصاً غير الذين كانوا خارج المائدة فقلت له: إنها مائدة أمير، ثم قلت له: أليس اسمك تيمور؟ إن سميك تيمور الملقب (لنك) هو أمير كبير، وإن برئت من بعض أفعاله التي لا يمكن إقرارها.

جولة إلي أبعد :

عرف الأخ تيمور بنفسه وربما كان المرافقون قد عرفوه بذلك من قبل أنني أحب أن أتجول في الأماكن التي لم أرها من قبل، لذلك خرجنا من بيته ومعنا الموكب المؤلف من ٤ سيارات أولاها سيارته اليابانية الجديدة التي أنا راكب فيها معي المترجم أمير مظفر، وتركنا قرية الانتجاع أو الترفيه داخلين في الغابة الكثيفة الواقعة على الشاطئ الشرقي لبحيرة بايكال في أماكن مرتفعة تحف بها الربى من جهة الشرق ويتدرج الشاطئ منها حتى يصل إلى البحيرة.

كان الطريق يشق هذه الغابة لأن شاطئ البحيرة خالٍ من البيوت مما يليها ولكونه يضيق أحياناً حتى لا يكاد يترك فراغاً بين الربى وبين البحيرة.

وهذا الطريق كان مزفتاً ولكن بعد عهده بالزفت وبالإصلاح فغدا أسوأ من الطريق الذي لم يمس قط، مع أن حقه أن يعتنى به لأنه ذاهب إلى مناطق سياحية مهمة من ساحل بحيرة (بايكال).

كانت مغادرة بيته في الساعة الرابعة عصراً فوقفنا أول الأمر بحذاء ابتداء نهر انقارا من بحيرة بايكال ولكننا لم نتبين أي فرق بينهما أو ما حولهما ما عدا علامة في الماء جعلها أهل المكان لتبين ذلك لأن صفحة الماء في البحيرة متسعة هادئة كما سبق، ثم وصلنا إلى قرية صغيرة منازلها من الخشب اسمها (بولشايه ريتشكه) بمعنى النهر الكبير كما أخبرونا.

متحف بايكال :

يقع متحف بايكال على ساحل بحيرة بايكال في هذا اللسان الضيق بين الربى الكثيفة الغابات وبين مياه البحيرة

وهو تابع لأكاديمية العلوم الروسية المتعلقة بالأسماك وأنواع الحيوان.

رأينا المعروضات العامة فيه ليست من الكثرة بذاك، ولكنها ثمينة لأنها كلها غريبة مما يكون في هذه المنطقة من البحيرة وما حولها، إلا ما وافق غيره في غيرها، ولكننا وجدنا فيها من أنواع الأسماك والحيوان ما يستحق أن يرحل إليه المشاهد لغرابته، فكأنما هذه البحيرة العميقة هي ذاتها متحف للحيوان البحري النادر المثال.

وجدنا المسئولين في المتحف لديهم علم مسبق بوصولنا، ولذلك جعلوا مديرة المتحف هي التي ترينا الأشياء المعروضة وتشرحها لنا.

قالت وهي تعتبر خبيرة بها: إنها أعمق بحيرة في العالم يبلغ عمقها في أقصاه ١٦٣٧ متراً.

قالت: وأما طولها فإنه ٦٣٦ كيلومتراً وعرضها يتراوح بين أوسعه ٨٠ كيلومتراً وأضيقه ٢٧ كيلومتراً.

وذكرت أنها ثامنة بحيرات العالم في السعة، وظني أنها لا تصل إلى ذلك، فأنا عرفت بحيرات واسعة في العالم عديدة لعل من أشهرها بحيرة نيانزا فيكتوريا في إفريقيا التي ينبع النيل الأبيض منها، وبحيرة تنجانيقا والبحيرات الكبرى في الولايات المتحدة، وبحيرة انتاريو في كندا.

حيث ضاق المجال بين الجبل وبحيرة بايكال وبائعات التحف والتذكارات

متحف الحيوان المحنط :

يحفل المتحف بحيوان كثير محنط وغريب من ذلك حيوان له أسنان كأسنان الفيل لكنه صغير، وليس هو بفيل البحر الذي يكون في البحار القطبية الباردة، ذاك غيره، وقد رأيت ذلك في أماكن مختلفة من العالم، ولم يعرف المرافقون اسمه بالعربية حتى يترجموه.

وذئب من ذئاب المنطقة أصغر من الذئب الذي عندنا ذكرت أنه لا يقدم على أكل الإنسان إلا إذا اجتمعت منه أعداد كثيرة فإنها قد تهاجم الإنسان وتأكله.

وقطة وحشية ليست ببعيدة من التي نعرفها في بلادنا، وقد سبق لي أن اصطدت واحدة منها بالقرب من مدينة بريدة ويسميها الناس عندنا (التَفَهْ) وهي تسمية عربية فصيحة، ومعروف أنها من أشرس الحيوان البري المفترس، وأنها لا تذوق إلا اللحم تفترس ما تصل إليه من حيوان البرية.

وقطاً مثل القطا الكدري الموجود في بلادنا وهي طيور حجمها في حجم الحمام إلا أنها ذات شكل مختلف وريش مختلف، وطبيعة أيضاً مختلفة، وتضرب العامة من بني قومنا بها المثل في الاهتداء إلى الشيء فتقول: (أدل من القطا) أي أهدى من القطا.

وهدهد كالموجود عندنا تماماً.

ومن الغريب وجود عجول البحر في هذا البحر، وقد ذكرت مديرة المتحف أنه توجد منها في البحيرة الآن ١١٥ ألفاً وأنها تأكل السمك حتى في الشتاء تبحث عنه في قاع البحيرة الذي لم يتجمد.

وذكرت الدليلة أن السمك كثير جداً في البحيرة.

ثلثمائة ألف نوع :

قالت المديرة قولاً لم أستسغه وهي تذكر كثرة أنواع السمك: إن لدينا في هذه البحيرة ثلثمائة ألف نوع من السمك والأحياء البحرية.

وظني أن هذا الرقم مبالغ فيه، وأنه ربما كان الصحيح ٣ آلاف نوع، لأنه إذا كان كلامها صحيحاً فكم نوعاً من السمك في العالم كله، وربما كان ذلك خطأ من المترجم مع أني راجعته فيه وطلبت منه أن يطلب منها أن تعيد الرقم وتكرره له ففعلت ذلك.

إنه من الأمور البدهية كثرة السمك ووفرته في هذه البحيرة لأن هذا ما كنا سمعناه من عامة الناس، ولذلك صار السمك في مدينة (ايركوتسك) رخيصاً، لكن أن تصل أنواع السمك والأحياء البحرية فيها إلى ٣٠٠ ألف فهذا عجيب إذا صحَّ.

ووجدتهم عرضوا أنواعاً عديدة من البط من كبير وصغير وأسود وأبيض وبني اللون.

لا يأكل إلا السمك الطازج :

على خلاف عادتهم في عرض المحنطات في المتحف عرضوا حيواناً حيَّاً لغرابته عندهم ونفاسته في الحديقة، وهو نوع من كلاب البحر أسود اللون إلى درجة عجيبة ذو عينين حادتين، بل نفاذتين ذكروا أنه يوجد في البحيرة وهو حيوان مائي، ولكنه يخرج إلى اليابسة ولا يموت في الهواء كالسمك، وإن كان يقضي أكثر حياته في الماء.

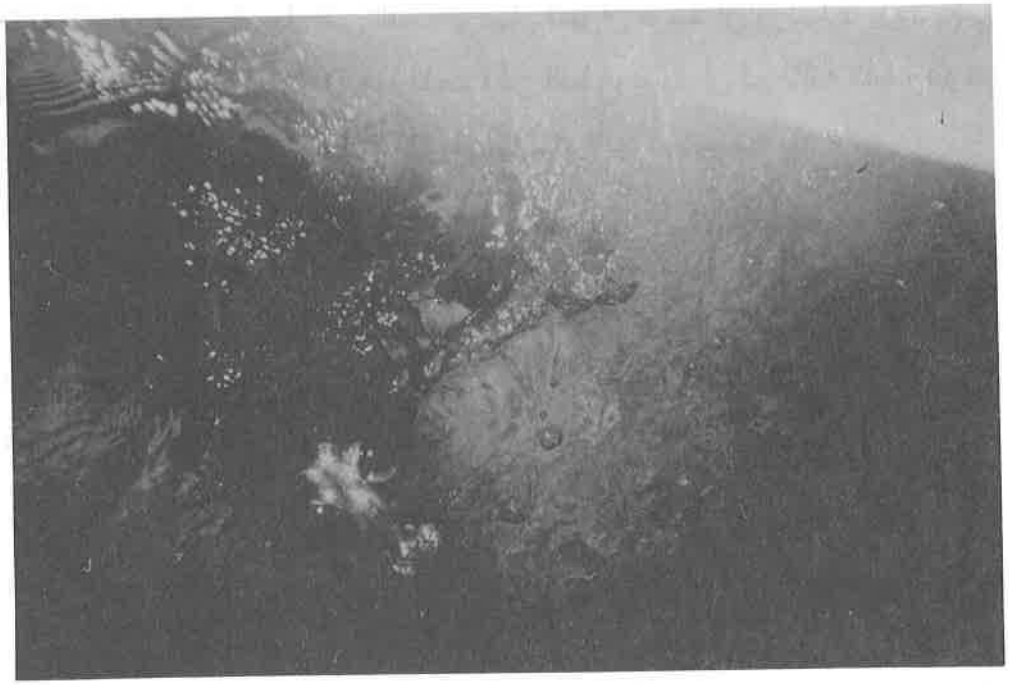

عجل البحر ذو اللون الأسود في بركة صغيرة في متحف بحيرة بايكال

ومع أنه ليس بكبير فهو في حجم القط وهو الهر الكبير، إلا أنه أملس الجلد لطيف الجسم سريع الحركة في الماء.

وقد وضعوا زوجاً منه في حوض ماء صغير، وذكرت المديرة الدليلة أنه لا يأكل إلا السمك الطازج، فإذا قدم له سمك ليس طازجاً كأن يكون مضى على اصطياده يوم أو يومان لم يأكله.

وذكرت أن كل واحد منها يأكل ٤ كيلوقرامات من السمك، وظني أن تلك مقسمة عليه في الوجبات الثلاثة إن كانوا يغذون الحيوان على نظام الوجبات الثلاث، لأنه صغير الحجم، ولو أكل الكيلوات الأربع من السمك فإن وزنه لن يبدو أكثر مما كان قبل أن يأكله كثيراً، كما روي عن أحد البلغاء القدماء أنه أحضر لحماً لغلامه ليطبخه وكان مقداره رطل من اللحم وقيل رطلان، فأكل غلامه اللحم وقال:

أكلته القطة، فبادر الرجل إلى القطة يزنها بالميزان فوجد أن وزنها لا يزيد على وزن ذلك اللحم، فقال لغلامه: هذا اللحم فأين القطة، يريد أن لو أكلته القطة لتوها كما زعم غلامه فإن ذلك سوف يظهر في وزنها، لأنها لم تهضمه بعد.

وقد ذكرت الدليلة أن كلب البحر لا يأكل غير السمك ولو جاع.

ولما أبديت لها عجبي من لونه الأسود قالت: لونه في الماء أسود ولكنه يكون فضياً خارج الماء ولا أظن ذلك صحيحاً لأني نظرت إليه قبل ذلك وقد قفز من الماء ثم عاد إليه بسرعة فلم أر في لونه إلا السواد.

وفي المتحف أحفوريات أي بقايا حيوانات قديمة العهد، منها ما كان سابقاً لعهد الديناصورات أو مرافقاً له، ذلك يتمثل في فك حيوان ضخم وجزءٍ من رأسه، قالت الدليلة: إنه جد الفيل الحالي وهو أكبر منه بكثير.

أقول: تذكرت عند هذا أنه وجدت في صحراء جمهورية منغوليا المجاورة لهم مقبرة لحيوان الخلق العظيم من الديناصورات وأشباهها من أكلة اللحوم وقد أبرزها القوم بأن جعلوا لها تماثيل تمثلها كأنها هي حية تسعى، ورأيت في فم أحدها تمساحاً معتاداً، وهو يدخله في فمه كما يدخل الواحد منها سمكة الروبيان، وهي الأربيان في الفصحى وهو الذي يسمى بالعامية المصرية (الجمبري) وهو يقضمه فلا يستبعد أن تكون هذه الأرض مهداً لأمثال هذا الحيوان الضخم لأنها مجاورة لمنغوليا.

وقد رأيت أضراسه كبيرة مما ذكرني بالحديث: إن الرجل إذا دخل النار يعظم خلقه حتى يصير ضرسه مثل جبل (أحُد).

وأقول إن ضرس هذا الحيوان وأمثاله يشهد لما جاء في الحديث: إن أدم عليه السلام خلقه الله طوله ستون ذراعاً إلى أن قال: فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن.

والحديث في ظاهره يشمل الخلق كله وليس آدم عليه السلام بدليل قوله فلم يزل الخَلْقُ ينقص.

ومن المعروف لعلماء الآثار أن أجداد الإنسان وحتى أجداد الحيوان القديمة التي عثروا على شيء منها في الأحافير أو في المتحجرات هي أكبر مما هي عليه الآن، وما الديناصورات وما عايشها من الحيوان العظيم كالماموث إلا شواهد على ذلك.

أما تعظيم جسد من يدخل النار فإنه مفهوم، بل إنه قياسي لأنه إذا كانت النار أي نار عظيمة فإنه لا يوقد عليها إلا بحطب عظيم بخلاف ما إذا كانت صغيرة يكفيها دقيق الحطب لكي تتقد.

وكل هذا من باب التنزل مع اللفظ وإلا فإننا نقول: الله أعلم بمراد رسوله في ذلك إن صح الحديث عنه، وكل ما في الآخرة مما ذكر له مثيل من أمور الدنيا إنما هو للتقريب للأذهان، والتيسير للأفهام، وإلا فإن الأمر أجل من ذلك، وما في الآخرة غير ما في الدنيا، مثلما أن الآخرة عالم آخر غير عالم الدنيا كما هو واضح.

هذا وقد قضينا وقتاً مفيداً ممتعاً بعد المتحف الذي فيه غير ما ذكرته كثير، بل إن ما ذكرته هو أقل مما لم أذكره.

ودعتنا الدليلة وهي روسية نصَف غليظة الجسم وتقاسيم الوجه حتى ليشبه وجهها وجه بريجنيف وهو ليونيد بريجنيف الأمين العام للحزب الشيوعي السوفيتي لسنوات عدة، فهو إذاً بمثابة رئيس الاتحاد السوفيتي في ذلك الوقت ومعروف بأن وجهه غليظ وأغلظ ما فيه حاجباه وهو مكفهر الأسارير لا يحب من يران أن يكرر النظر إليه إلا إذا كانت به حاجة إلى ذلك.

المتحف الخاص :

انطلقنا في الاتجاه نفسه الذي كنا متجهين إليه من قبل وهو جهة الجنوب أي الجهة المعاكسة للذهاب إلى مدينة (ايركوتسك) فنحن إذاً نبعد عنها، وفي الجو نفسه الذي كان سائداً من قبل حيث الربى المجللة بأشجار الغابات فوق التلال المتعانقة الممتدة إلى اليسار، وبحيرة بايكال إلى اليمين، فوصلنا إلى ما يشبه حديقة الحيوان الصغيرة، إذْ فيها أقفاص للعديد من الحيوان النادر الذي لا يراه المرء حياً في العادة إلاَّ في حدائق الحيوان، وهو أشبه بالمتحف الذي قبله غير أنه فقير بمعروضاته وأن جميع ما فيه من الحيوان حي وليس محنطاً.

أول ما رأينا فيه زوجان من الدببة السود الضخمة، ذكروا أنها تعيش في جبال ليست بعيدة من هذا المكان، ومعيشتها هنا ظاهرة السبب، وذلك أنها بقرب البحيرة وما حولها من مستنقعات ومجاري مياه يكثر فيها السمك، حيث يعيش الدب عليها وبخاصة الدب الأسود.

ومن أكثر ما فيه طرافة خروف جبلي وحشي لا يعيش إلا في الجبال ولك أن تعجب من خروف لا يعيش إلا في الجبال، إذْ كنا نعهد أن الضأن من الغنم يعيش في السهول، ولا تناسبها المعيشة في الجبال بخلاف الماعز على سبيل المثال، ولكن في الضأن وحشياً كما في الماعز المعروفة بالوعل التي كانت تعيش في جبال بلادنا الوعرة ذات الشعاب غير المطروقة، حيث توجد فيها في الغالب مناقع يجتمع فيها ماء المطر، ويبقى موجوداً لفترة طويلة.

ورأينا فيه ثعلباً محلياً مما يعيش في هذه المنطقة، ولم أره يختلف عن التعلب الموجود في بلادنا إلى أن هذا أكبر منه قليلاً.

وفيه غزلان رشيقة القوام، لطيفة الأجسام، تشبه الغزلان الموجودة في صحراواتنا.

استمتعنا برؤية هذا الحيوان الذي كان محبوساً في أقفاص وقريباً من نظر المتأمل.

وهذا المعرض الحيواني هو خاص يملكه شخص يأخذ على كل واحد خمسة روبلات للدخول، وهذا مبلغ زهيد لأنه يعادل ٣٠% من الدولار الأمريكي.

والفكرة جيدة جداً لو استعملها بعض الناس عندنا فعرض بعض الحيوان النادر لقاء رسم قليل، إنه سوف يفيد ويستفيد، وإن كان أكثر الحيوان معروضاً في حدائق الحيوان في بلادنا، وبخاصة حديقة الحيوان في الرياض التي هي من أغنى حدائق الحيوان في البلدان العربية في عرض الحيوان النادر .

سوق السمك :

وليس أولى بسوقٍ للسمك من هذا المكان الواقع على بحيرة بايكال، فقد غادرنا المعرض الخاص وواصلنا سيرنا جهة الجنوب حتى وصلنا مكاناً ينتهي عنده الطريق الذي يسير محاذياً للبحيرة بينها وبين الجبال الخضر بل الكثيفة الخضرة، فوجدنا سوقاً واسعاً فيه عدة أشياء، وكل الذي فيه معروض في الهواء الطلق والشمس المشرقة، فليست فيه حوانيت محدودة ولا أماكن مظللة.

وأكثره يعبق برائحته وهي رائحة الشواء من السمك الذي أخرج لتوه من البحيرة إذْ يشتريه الباعة من الصيادين الذين يخرجون من البحيرة، ومنهم أناس رأيناهم يخرجون به من البحيرة.

عند باعة السمك المشوي على شاطئ بحيرة بايكال

وأكثر الباعة في هذا السوق من النساء الشقر ذوات المنظر الأوروبي المميز، وفيهن رجال، وهناك باعة الأسماك الطازجة التي يبيعونها نيئة للمشترين الذين يحملونها إلى بيوتهم.

وليست البضائع في هذا السوق الخلوي العجيب مقتصرة على الأسماك والأحياء البحرية، وإنما فيه باعة التحف والبضائع الصغيرة مثل السكاكين والأمواس.

ولاحظت من أوجه النقص فيهم أنه لا يوجد في هذا السوق كتب، ولا أوراق فيها معلومات عن المنطقة أو البحيرة، وذكر الإخوة أن بعض البقالات تكون فيها بعض النشرات ولكنها بالروسية، والمفهوم أنها منطقة سياحية يفد

إليها سياح غرباء لا يعرفون الروسية وقد شاهدنا بعضهم، ومع ذلك لم نجد فيها شيئاً باللغة الإنجليزية.

ومن التحف اللطيفة مما عند أحد الباعة سكين حادة من الرخام الأخضر ذكر أن قيمتها ٧٠٠ روبل وذلك يعادل ٣٢ دولار أمريكية، إن ثمنها كثير ولكنها جديرة به، لكونها حادة، وإلاَّ فقد عهدنا أمثالها من السكاكين التي تكون من الرخام أياً كان لونه رخيصة إلاَّ أنها لا تكون حادة مثل هذه.

وقد عجبت في هذه المرة كما كنت عجبت في المرة السابقة من وجود هؤلاء الأوروبيين المتأخرين معيشياً في آسيا، الذين يظهر عليهم العوز في اللباس وحتى مظاهر العوز في الطعام من نقص التغذية وعدم نضارة الوجوه.

عندما رأيت كثرة أنواع الأسماك ورخصها وكلها من البحيرة سألتهم عما يكون عليه الأمر في الشتاء؟ فذكروا أن الناس يواصلون صيد السمك بكثرة ولا يمنعهم من ذلك أن سطحها يتجمد، ذلك بأنهم يحفرون في ثلجها حفرة وإن شئت الحذلقة قلت: إنهم يحفرون في مائها المتجمد آباراً حتى يصلوا إلى الماء غير المتجمد حيث يكون السمك ويصطادوه.

وعلى ذكر البحيرة كانت الدليلة في (متحف بايكال) قد قالت لي: إن نهر انقارا بدأ بالخروج من البحيرة قبل ٣٠ ألف سنة وظاهر هذا أنه لم يكن يخرج منها نهر قبل ذلك التاريخ.

هذا ويبعد هذا المكان ٧٢ كيلومتراً عن مدينة (ايركوتسك).

بدأنا العودة من هذه النزهة الممتعة في السادسة عصراً فوقفنا عند الحد الذي يبدأ منه نهر إنقاراً، وكانوا وضعوا عليه صخرة أو شيئاً بارزاً لم استطع رؤيته فأعارني سائح روسي من غير أهل المنطقة منظاره المقرب لأشاهده.

والتقطنا صوراً تذكارية منه.

هذا وجميع اللافتات الموجودة في الطرق في هذا المكان مثل اللافتات واللوحات الموجودة في المدينة هي باللغة الروسية وحدها، ليست معها لغة أخرى.

ورأينا لأول مرة في هذه المنطقة الحافلة بالمراعي قطيعاً من البقر بادر المرافقون فذكروا أنه خاص وليس حكومياً بمعنى أنه يتألف من أبقار عديدة لأناس مختلفين.

ووصلنا إلى منطقة البيوت القديمة المنفردة ذات الطلاء الأخضر الباهت، كأنما أحرقها الثلج فصارت رمادية اللون كئيبة المنظر.

جامع ايركوتسك :

لم تصل الساعة إلى السابعة حتى كنا ندخل جامع (ايركوتسك) للاجتماع بالإخوة المسلمين فيه، بناء على ترتيب مسبق، وذلك أفضل من الاجتماع في قاعة اجتماع في فندق أو نحوه كما كان حدث من قبل.

وجدنا في المسجد منهم عدداً لا بأس به عددته فبلغ ٢٩ غير الذين كانوا مرافقين ومنهم إمام المسجد.

وهو شاب يعرف قدراً لا بأس به من العربية.

صلينا معهم العصر قصراً وأكملوا بعدنا مع العلم بأنه قد بقيت في النهار بقية طويلة، ومن المؤسف أن بعضهم أدركنا ونحن نصلي، ولم يكونوا قد سمعوا تنبيهنا لمن كانوا معنا في أول الصلاة بأننا مسافرون سنقصر الصلاة، وأن على المقيمين أن يتموا الصلاة أربع ركعات فسلموا عندما سلمنا فأفهمناهم ذلك وعادوا يصلون ركعتين ليكملوا العصر أربعاً.

المؤلف يتحدث للمصلين في جامع ايركوتسك

طلبوا مني أن ألقي فيهم كلمة تتضمن نصيحتهم، وما ينبغي أن يعملوه لأمور دينهم، وكنت عازماً على ذلك من دون أن يطلبوه فألقيت فيهم كلمة مبسوطة عن الغرض من مجئنا إلى هذه المنطقة وعن قوة الإخوة الإسلامية وأنها أقوى من إخوة النسب، ولذلك آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين أصحابه من المهاجرين والأنصار، وكان المسلمون من غير العرب من فضلاء الصحابة ومقدميهم مثل بلال الحبشي وصهيب الرومي وسلمان الفارسي ولكن ذلك لا ينفي أن العرب شرفهم الله تعالى بأن اصطفى منهم خاتم النبيين والرسل محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم، وشرف أصحابه ومن تبعهم بإحسان بأن

جعلهم حملة هذا الدين إلى البشرية وعودهم الأخلاق الإسلامية الفاضلة التي أخذوا بها فصاروا قدوة للشعوب المسلمة الراقية.

وأبلغتهم تحيات إخوانهم في رابطة العالم الإسلامي ثم قلت لهم: نحمد الله تعالى على أن جئنا مرة ثانية إلى هذه المدينة وصلينا في هذا المسجد للمرة الثانية بعد غياب استمر ثمان سنوات إلا أن الذي حز في نفسي أننا قدمنا في المرة الأولى مساعدة جيدة في ذلك الوقت وهي عشرة آلاف دولار أمريكي من أجل إصلاح الجامع، ومع ذلك لم نر لها أي أثر، ولم نر أي إصلاح في الجامع، وكنا قلنا للمسئولين في الجمعية الإسلامية آنذاك: إننا نرغب في أن تصلحوا بهذا المبلغ هذا الخلل الذي أصاب المسجد، بسبب الرطوبة المتسربة إليه حتى كاد آنذاك أن يقع، ثم تحاولون أن تديروا عليه السور وتكملوا منارته التي هدمها الشيوعيون، وإذا احتجتم إلى معونة أخرى من رابطة العالم الإسلامي فإننا مستعدون لمساعدتكم على هذه الأمور، إلاَّ أننا لم نر أي شيء من ذلك أصلح والأدهى من ذلك أننا كتبنا لكم أكثر من مرة نستفسر عما تم في الموضوع وعن كيفية إنفاق هذا المبلغ من أجل صيانة المسجد عن الخراب من أسفله حتى لا يقع نتيجة لذلك، لا قدر الله، ولم تكن لتلك الكتابات والاستفسارات أية نتيجة، لذلك طلبنا من الشيخ المفتي طلعت تاج الدين الذي كان مسجدكم تابعاً لنظارته ومقره مدينة أوفا عاصمة بشكيريا وطلبنا منه أن يبحث الموضوع، ويفيدنا عما تم حول إصلاح المسجد، فوعد بذلك إلا أنه حصلت له هو نفسه بعض الأمور منها مرضه ثم تفككت إدارته إلى عدة إدارات دينية.

جانب من الذين يستمعون إلى كلام المؤلف في جامع ايركوتسك

والآن ومن حسن حظنا أنه اجتمع منكم هذا العدد الذين يمكن أن يجيبوا على تساؤلاتنا وفيكم الآن هذا الأخ الحاضر معنا (فريد) الذي سلمنا المساعدة المذكورة بيده وقدرها عشرة آلاف دولار.

وهنا لابد لفريد من أن يتكلم فقال: صحيح أننا تسلمنا منكم عشرة آلاف دولار غيرناها إلى روبلات في ذلك الوقت وهي الآن موجودة.

إن معنى تغييرها في ذلك الوقت إلى روبلات وإبقائها دون الانتفاع بها أن تكون قيمتها قد رجعت إلى أدنى من ١٠% من قيمتها الأصلية لأن الروبل انهارت قيمته بالنسبة للدولار، ولما كان هذا غير معقول ولا مقبول، فقد اقترحت أن نؤلف

منهم لجنة تنظر في أمر هذا المبلغ الذي تبرعت به الرابطة وما آل إليه ثم تكتب إلينا بالنتيجة، وبما يحتاج إليه المسجد بعد إنفاق المبلغ المذكور، لأنه ليس من الممكن أن نقدم لكم مساعدة للمسجد على حين أنكم لم تنفقوا المساعدة السابقة على المسجد، بل لا ندري مصيرها حتى قال الأخ فريد: إنها موجودة لديه.

فقال الأخ تيمور إلياس: إن لي سنوات وأنا أصلي في هذا المسجد إضافة إلى علاقتي بالجمعية الإسلامية وما سمعت بالتبرع الذي أقر الآن فريد أمامنا بأنه كان قد تسلمه، ولم يذكر لنا شيئاً عنه، فقلت لهم: إن هذا هو ما دعاني إلى أن أقترح أن تؤلفوا لجنة منكم تنظر في الأمر وتحقق من الدافع ثم تخبرونا به، فقالوا: هذا صحيح، وقال كبير المرافقين لنا الأخ عبدالواحد نيازوف رئيس المركز الإسلامي في موسكو: إن كلام فلان- يقصدني- هو في محله، إذْ لا يمكن النظر في تقديم مساعدة جديدة إلا بعد معرفة مصير المساعدة السابقة.

وكان رئيس الجمعية الإسلامية في الوقت الحاضر معنا ويسمع كلامنا.

ثم تجولنا معهم في أنحاء المسجد، ووجدنا أن جميع الخلل والنقص الذي كان موجوداً فيه لم يتغير بإصلاح أو نحوه، مع العلم بأن الخطر قد عظم الآن عليه لأنه في ذلك الوقت لم يكن يرتاده للصلاة إلاَّ عدد قليل، أما الآن فإن أعداد المسلمين قد زادت، وأعداد المصلين قد تضاعفت وهذا يترتب عليه زيادة أحمال على سقفه مما يعني الخطر عليه من السقوط.

وأطليت على القسم الأرضي منه الذي كان أصابه الخلل ودخل إليه البلل، فوجدته على حاله، بل أسوأ مما كان عليه، لأنهم تركُوا بابه مفتوحاً يدخل منه المطر إذا هطل وذلك مما يضاعف رطوبة الطابق الأرضي وبالتالي يخل بأساس المسجد، وبأعمدته، لاسيما أنه من الآجر والحجارة وليس من الأسمنت

المسلح لأنه قد بني قديماً كما سبق أن ذكرنا في المقدمة، وكان عامراً بالمصلين قبل أن تبتلى البلاد بالشيوعية.

كما أن الأمور الأخرى غير الأساسات لم يصلح مثل المنارة التي لا تزال على كسرها الذي أحدثه لها الشيوعيون لم تجبر، وكذلك السور لا يزال باقياً دون إكمال، لأن بعض المحسنين أحضر بعض الآجر له فبنوا به أو بني هو به بعض سور المسجد وترك الباقي بدون سور!

وقلت لهم: يجب أن تتألف الجمعية التي تبحث في أمر التبرع السابق الذي قدمته الرابطة ومصيره، وبالخلل الواقع في المسجد وعلاجه وكيفية الحصول على نفقة له من إمام المسجد ونائبه وهما موجودان يسمعان كلامنا، ومن رئيس الجمعية الإسلامية ومحاسبها يضاف إليهم الأخ فريد الذي لديه المبلغ فوافقوا كلهم على ذلك وذكروا أنه مناسب، بل ذكر بعضهم أن هذا أمر لابد منه ثم ودعناهم، آسفين على حال المسجد، وحال الذين أخفوا ذلك التبرع أو تصرفوا فيه تصرفاً ليس في صالحه.

وخرجنا مسرعين إلى محطة القطار من أجل السفر إلى مدينة (أولان أوده) عاصمة جمهورية البوريات، وهي جمهورية ذات استقلال ذاتي جعلوها جمهورية وليست منطقة أو محافظة، كما هي عليه الحال في (ايركوتسك)، وقبلها منطقة الأورال لأنها كانت لقوم من المغول يقال لهم (البوريات) كانوا هم أهلها والقائمين عليها فاستولت روسيا القيصرية عليها، فلما جاء الشيوعيون وأعطوا أرباب القوميات جمهوريات اسمية لهم أعطوهم هذه الجمهورية التي هي ذات حكم ذاتي داخل جمهورية روسيا الاتحادية.

كنا مشفقين من أن لا ندرك القطار غير أن الأمر انقلب إلى ضد ذلك إذْ وجدناه تأخر عن موعده لأكثر من ساعة، فجلس القوم معنا وهم كثر في المحطة وطلبت منهم أن أودعهم وأن يعودوا إلى بيوتهم فأبوا ذلك، مع العلم بأنهم لو فعلوا لما كان في ذلك تقصير في حقنا لأن معنا اثنين سيرافقاننا وهما الأستاذ الوجيه عبدالواحد نيازوف والمترجم أمير مظفر وكلاهما روسي الجنسية ويعرف اللغة الروسية لأنها لغته.

وقد سمحت إدارة المحطة بتخصيص مكان لنا وهم ثمانية وأحضروا كراسي للمكان وأحضر الإخوة الشاي والقهوة وبعض الشطائر والحلوى والمياه الغازية من مقصف المحطة.

ولم يتركنا القوم جزاهم الله خيراً حتى ركبنا إلى القطار الذي تحرك في الحادية عشرة إلا الثلث متأخراً عن الموعد المحدد لقيامه في الأصل أكر من ساعتين.

وقد ركبنا في الدرجة الأولى في مقصورتين كل مقصورة من مقصورات الدرجة الأولى فيها أربعة أسرة في طبقتين ولكننا نستعمل اثنين ونترك الآخرين كل ذلك طلباً للراحة وعدم مزاحمة غريب لنا فيها.

ومن أحسن ما في غرف الدرجة الأولى في القطار أن المقاعد هي أسرة جيدة، جاءت عاملة روسية من القطار بفرش جديدة من الأردية والأغطية وأغطية الوسائد وحتى المناشف جاءوا بها نظيفة قد غسلت لتوها.

وقد زودنا الإخوة بعشاء نأكله في القطار به السمك الجيد واللحم والأرز والسلطة فكانوا كما قال الشاعر:

ونكرم ضيفنا ما كان فينا ونتبعه الكرامة حيث سارا

وقد أكلنا من هذا العشاء كثيراً عندما اشتهيناه بعد فترة، وبقي أكثره ولا أدري ما صنع به المرافقان، ومن الطريف أن بعض السمك الذي أحضروه كان كالذي رأيناه على شاطئ بحيرة بايكال بعضه مملح غير مطبوخ وهو نوع خاص من السمك يفعلون به ذلك لا يفعلونه بغيره وبعضه مدخن والباقي مطبوخ.

هذا ولم يكن في القطار ما يغري بالإطلاع عليه، إذْ كانت زجاج نوافذه ثابتة لا تفتح والجو خارجه مظلم لا يستبين المرء منه شيئاً، لذلك نمنا نوماً كنا بحاجة إليه.

جمهورية البوريات

جمهورية بوريات الذاتية الحكم :

زار وفدنا مدينة اولان اوده (Ulaan Ude) عاصمة جمهورية بوريات الذاتية الحكم في يوم الجمعة ١٤٢٠/٤/١٧هـ الموافق ١٩٩٩/٧/٣٠م، وقد اطلع مع الأستاذين البرت عفيف رئيس الجمعية الإسلامية، وبصير نور علي نائبه، وبرفقة كل من سيردروف سميون مستشار رئيس جمهورية بوريات لشئون الأديان وسيديبوف باتو ممثل لجنة شئون الأديان الحكومية على قطعة الأرض التي يزمع إقامة مسجد عليها وتقع في حي سوفيتسكايا، والأرض مساحتها ١/٣ هكتار ولكن مساحة المسجد المزمع إقامته ٢٥٠ متراً مربعاً، وقد وضع الحجر الأساسي الرمزي في ٤ أكتوبر ١٩٩٨م، ولكن قلة المال حالت دون الاستمرار في تنفيذه مع أنهم يقولون بأن السلطات المحلية ستسهم في ٢٥% من نفقاته التي تقدر بنحو ٥٠ ألف دولار وقد تبرعت الرابطة بواسطة الوفد الزائر بمبلغ قدره أربعة آلاف دولار.

وقد تحدث المسلمون عن مسجد خشبي قديم بني عام ١٩٠٧م، ولكن هدمه الشيوعيون عام ١٩٣٩م، ويقدر عدد المسلمين في مدينة اولان اوده بنحو خمسة آلاف مسلم من سكانها البالغ عددهم ٣٩٢.٠٠٠ نسمة وأن نسبة المسلمين في جمهورية بوريات يقدر بنحو ١٠% من جملة السكان وعددهم ١.٠٥٣.٠٠٠ نسمة عام ١٩٩٦م، كما أن المسلمين يوجدون في عدد من المدن والقرى التي تنتشر في بوريات التي تبلغ مساحتها ٣٥١.٣٠٠ كيلومتراً مربعاً.

وبوريات إحدى قبائل المغول الغربية التي كانت تستوطن حوض بحيرة بايكال منذ القرن العاشر الميلادي وتتكون بوريات من ثلاث عشائر كبيرة هي تابونوت (Tabunut) أتاغان (Atagan) وخوري (Khori) ويعتبرون أنفسهم

أنقى القبائل المغولية وأكثرهم عدداً إذْ كان عددهم ٣٠ ألفاً في القرن السابع عشر إبان الغزو الروسي لأراضيهم، وكانت بوريات تسيطر على السهوب الوسطى في سيبيريا ويخضع لها قبائل التنغوز والساموييد والقازاق والقرغيز التي تستوطنها ومع مقاومتهم القوية التي استمرت أكثر من نصف قرن احتل القوزاق الروس وهم غير القازاق اولان اوده عام ١٦٦٢م، وخلال الحكم السوفيتي الذي أسس الجمهوريات الصورية الذاتية الحكم أقام الروس جمهورية بوريات الذاتية الحكم في ١٩٢٣م.

يوم الجمعة: ١٤٢٠/٤/١٧هـ /١٩٩٩/٧/م:

من ايركوتسك إلي اولان أوده :

و(اولان أوده) هي عاصمة جمهورية البوريات التي يصح أن تترجم بالبوراتيين على اعتبار أن الواحد منهم (بوراتي).

صحوت مبكراً من نوم القطار قبل الفجر، فلم أجد في خارج النافذة ما يصح أن يرى فعاودت اغفاءة لذيذة قمت بعدها لصلاة الفجر مع رفيقي في غرفة القطار الأستاذ رحمة الله بن عناية الله وكان نائماً في السرير الأعلى وأنا مقابله في السرير الأسفل وكأن كل واحد منا في غرفة وحده لأن الأعلى مرفوع جداً عن الأسفل.

وقد أسفر الجو واتضحت طبيعة الأرض خضراء معشبة ندية والقطار يباري نهراً أو مجتمعاً للمياه يشبه النهر، ولم يخبرنا أحد بشأنها حتى المرافقين اللذين هما في غرفة أخرى من القطار وهما روسيا الجنسية لم يعرفا من أمر هذه المنطقة شيئاً.

ولكن الريف ذو بيوت خشبية ينقصه التجميل، بل ليس فيه تجميل أصلاً وطراز البيوت شبيه بالبيوت القروية الروسية التي تكون منفردة غير متلاصقة وهي ضيقة كما تبدو من الخارج إلا أن هذه البيوت التي نراها الآن من الريف هي أضيق منها وتسنيم سقوفها أكثر وقوفاً، والتسنيم أي جعل سقف المنزل كسنام البعير أمر مهم في البلاد الثالجة مثل هذه لأنه يساعد على إزالة الثلوج عن السطح وعدم تراكمها مع أن بعض الإخوة أخبرونا أن التدفئة إذا كانت جيدة في المنزل فإن ذلك يساعد على إزاحة الثلوج عنه إذا ما لم يكن الثلج قد تراكم عليه لمرات عدة قبل ذلك.

مدينة اولان أوده :

في الساعة السابعة والنصف صباحاً بدأ القطار يهدئ من سيره وما يزال النهر يماشيه، وقد دخلنا مشارف المدينة حتى وقف القطار في المحطة وسط مناظر غير بهيجة فالأبنية ذات الطوابق المتعددة المزدحمة بالسكان هي ذات مظهر سيء من حيث الطلاء والمرافق العامة خارجها الأرصفة الملاصقة لها وأبواب النوافذ بل حتى أبواب المنازل.

مدينة أولان أوده على البعد (تصوير المؤلف)

ورأينا مصانع عديدة مهملة أو تبدو كالمهملة وأخبرنا الإخوة أنها مهملة بالفعل إذْ وقفت المصانع عن العمل كما هو حاصل في كل أنحاء روسيا.

وتبدو هذه المصانع صغيرة لأن مداخنها قصيرة غير مرتفعة في السماء.

وجدنا في استقبالنا في المحطة عدداً من الإخوة العاملين في الجمعية الإسلامية معهم سيارات على رأسهم البرت عفيف محتسب الجمعية الدينية ويعني ذلك أنه يعمل فيها من دون راتب والأخ بصير نور علي نائب رئيس الجمعية الإسلامية.

اجتمع الناس في محطة القطار ما بين راكبين ومودعين وحتى واصلين لأننا لم نرهم عند الصعود فضلاً عن أن نختلط بهم لأننا كنا راكبين في الدرجة الأولى فرأيناهم شعباً آخر متميزاً عن الشعب الروسي وعن الشعوب الأخرى القريبة منه في الألوان وتقاسيم الوجوه.

وهو شعب مغولي أصلاً وفصلاً، أي أن أصله من المغول الأنقياء، ومظهره كذلك مظهر المغول الشماليين الذين تتجلى فيهم الملامح بل التقاسيم المغولية المميزة.

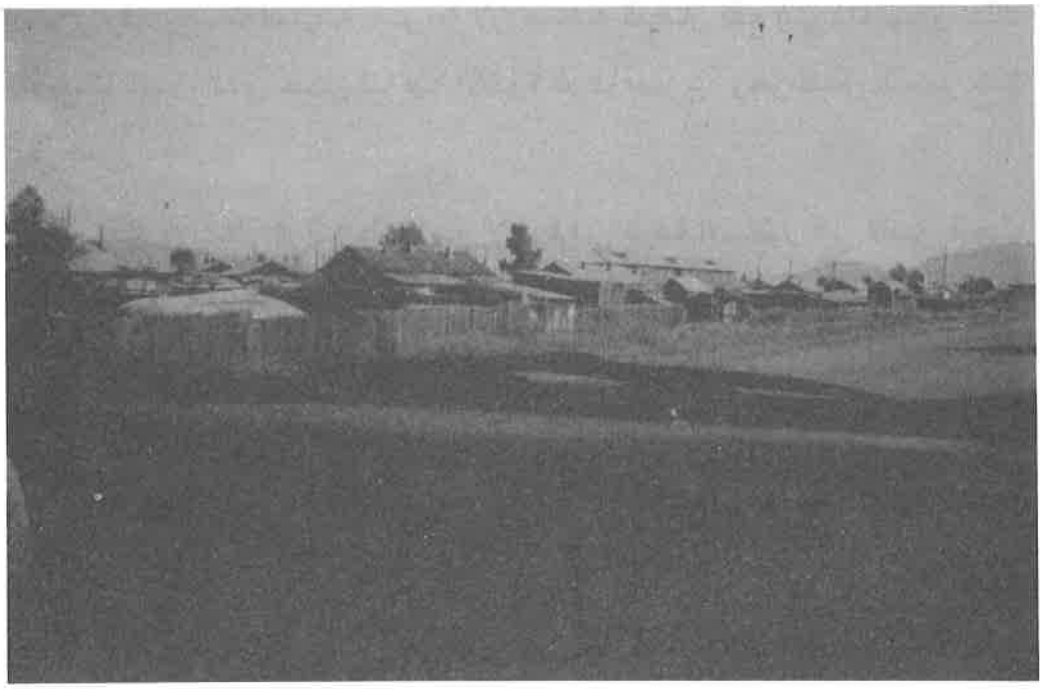

البيوت في ضواحي مدينة أولان أوده

ورأينا كل النساء المسنات واللاتي هن في منتصف العمر قد جمعن بين ثقل الأجسام عند الروسيات وتغضن الوجوه عند المغوليات.

وحتى الأبنية والأرصفة حول المحطة كلها سيئة المظهر مهملة فانضاف هذا إلى ما ذكرته وكأنما وصلنا بلداً آخر لا علاقة لها بروسيا ولا بالروس، والواقع أن الأمر كان كذلك قبل أن يحتل الروس بلادهم ويستملكوها.

انطلقنا مع الأخوين فسلكنا شارعاً واحداً للسيارات الذاهبة والآيبة دون فاصل بينهما من خط أصفر أو أبيض كالعادة، وعلى جانبي هذا الشارع صف من الأشجار الواقفة التي لا أعرفها ولكنها تشبه على البعد شجرة (الكينا) التي هي شجرة القارة الاسترالية المميزة.

وقد وصلنا المدينة بسرعة لأن محطة القطار تقع في داخلها وكذلك وصلنا الفندق الذي حجز لنا فيه الإخوة غرفاً بسرعة وهو فندق القصر كما ترجموا اسمه.

قبل أن ندخل غرفنا جلسنا مع الإخوة في غرفة الاستقبال في الفندق لبحث برنامج الزيارة لهذه الجمهورية، وما بعدها لأننا كنا على عزم السفر إلى مدينة (جيتا) في الشرق الروسي لأن فيها مسجداً تاريخياً قديماً يعمرونه ووقفوا عن عمارته لقلة النقود، غير أن الإخوة أخبرونا بأنه لا يوجد إليها طيران من هذه المدينة (أولان أوده) وإنما الوسيلة الوحيدة إليها هي السفر بالقطار الذي يغادر هذه المدينة في الساعة السابعة من مساء هذا اليوم ويصل جيتا في السابعة من صباح غد.

ومعنى هذا أننا لن نبقى في هذه المدينة، بل في هذه الجمهورية كلها إلا عشر ساعات نحتاج بعضها للراحة لأننا لم ننم نوماً كافياً في القطار، ومعنى

ذلك أننا لن نستريح إلاَّ في غدٍ مع أننا نكون قد تعبنا في السفر بالقطار مدة إحدى عشرة ساعة، لذلك أخبرناهم أننا لن نسافر إلى (جيتا) وسوف ننتظر المناسبة السعيدة التي كانوا أخبرونا أنا ستحل فيها بعد إكمال المسجد، إذْ سيحتفلون بافتتاحه ولمناسبة مرور ٩٢ سنة على إنشائه، إذْ كان أُنشيء قبل الحكم الشيوعي.

شارع لينين في أولان أوده

هذا وقد وجدنا العاملين في الفندق كلهم من المغول مثل فتاتين في مكتب الاستقبال وعامل غليظ حمل حقائبنا إلى الغرف.

وليس في الفندق من الذين نراهم الآن مَنْ ليست عليهم السمة المغولية، إلاَّ أخوانا المستقبلان لأنهما من المهاجرين إلى هذه المنطقة، فأحدهما من التتار والثاني أظنه من أحد أقطار آسيا الوسطى.

ملك روسي عريض :

عندما رأيت هذا الشعب في هذه الجمهورية وكونه شعباً مغولياً ليس له علاقة مظهرية بالروس، ولا أي شبه ظاهر بهم، وكنت قد سافرت قبل ذلك من أول هذه الرحلة إلى بلاد الشرق الأقصى الروسي من موسكو إلى مدينة (بترو بافلوفسكا) عاصمة منطقة كمشتاكا مسافة ثمان ساعات وثلث بالطائرة النفاثة، كلها فوق أراضٍ روسية قلت قولة كنت رأيتها في بعض الكتب تقول للملك الواسع: إنه (ملك عريض).

فبلاد الروس واسعة شاسعة، ومع ذلك استولوا على بلاد واسعة شاسعة أخرى بعضها لم يكن فيه سكان لهم مدنية وسلطات شاملة كالشرق الروسي وأجزاء من المنطقة المتجمدة الشمالية، والبعض كانت فيه ممالك وكان فيها أمراء لهم حضارة ومن ذلك مملكة سيبير في سيبيريا وما ألحق بها، وهو ممالك واسعة حتى إن إقليم سيبيريا وحده تبلغ مساحته اثني عشر مليون كيلومتر مربع، فهي بهذا أوسع من المملكة العربية السعودية أكثر من خمس مرات.

ولكن أيستمر هذا الملك العريض أمن يفسده حكم يولتسين رئيس جمهورية روسيا في الوقت الحاضر كما أفسد الاتحاد السوفيتي، فينفرط عقده.وينحل أمره.

لا شك في أن من أسباب انفراط الاتحاد السوفيتي وسقوطه عوامل داخلية فيه مثل التعسف والتسلط وفساد الإدارة والنظام الشيوعي الذي يلغي حرية الفرد لتذوب في حرية الدولة التي هي متألفة من مجموعة من الأشخاص الذين لم يتلقوا أية تربية

دينية ولا أخلاقية ما عدا التعليمات الشيوعية التي تحث على إخضاع المجموع لطائفة من الشعب هم العمال والفلاحون كما يقولون بأي ثمن.

ولكن هذا الملك الروسي العريض الموجود الآن تحت اسم (جمهورية روسيا الاتحادية) يحمل في طياته عوامل قد ترجح فساده وانحلاله لا يتسع المجال لذكرها هنا، ولكنها موجودة وأكثر المتتبعين لمجريات الأمور في داخل روسيا من أهل روسيا نفسها يعرفون ذلك.

ونعود إلى الحديث عن الفندق وما بعد ذلك فنقول: إن هذا الفندق متوسط المستوى فهو في مستوى ذات النجوم الثلاث، وسعره الذي أعطوه للجمعية الإسلامية مناسب جداً ومنخفض فعلوا ذلك لكون الجمعية مسجلة رسمياً بأنها جمعية خيرية إسلامية.

بحثنا برنامج زيارتنا لهذه الجمهورية ومن ذلك مقابلة كبار المسئولين فيها وعلى رأسهم حاكم المنطقة الذي يسمونه رئيس الجمهورية لأنها جمهورية، وليست إقليماً وعادة الروس أن يسموا المنطقة التي كان يسكنها شعب غير روسي من الأقوام الذين استولوا على بلادهم في زمن الحكم القيصري جمهورية ومن ذلك بعض الجمهوريات المسلمة مثل جمهورية (تتارستان) وجمهورية بشكيريا، وجمهورية داغستان ومنها جمهوريات غير مسلمة مثل هذه الجمهورية جمهورية (بوريات) وجمهورية ياقوتيا البعيدة الواسعة.

أما المناطق التي لم تكن تحكم بأمة من الأمم منفردة بها أو كانت تلك الأمة التي كانت تحكمها ضعيفة، وقليلة العدد بحيث ذهب وجودها، أو ذهب ثقله فإنهم يسمونها إقليم أو محافظات مثل أقاليم أو محافظة (الأورال) التي زرناها قبل هذه الجمهورية وكلها ذات حكم ذاتي داخل جمهورية روسيا الاتحادية.

هذا وقد قلت للإخوة المسلمين وكان حضر شخص ثالث من الجمعية الإسلامية عندما ذكروا رغبتهم في أن نزور عدداً من كبار الموظفين في البلاد: إنكم إذا كنتم تعلمون أو تظنون أن في زيارتنا لهم فائدة لكم فإننا سوف نقوم بها.

فأجابوا كلهم بأنهم يعلمون، وبعضهم قال: إننا نتيقن ذلك قالوا: وعندما بلغنا خبر قدومكم إلى هذه الجمهورية فرحنا بذلك وأخبرناهم به فسروا مثلنا لأنهم يأملون أن تترتب على ذلك فوائد من الاتصالات ما بينها وبين المملكة العربية السعودية وبخاصة في مجال الأعمال التجارية والاستثمارات المالية.

إلي أرض المسجد:

الحجر التذكاري عليه لوحة إنشاء مسجد أولان أوده

استرحنا قليلاً في غرفنا في الفندق حتى حان موعد وصول الإخوان المسلمين للذهاب إلى الأرض التي منحتها الحكومة للمسلمين ليقيموا عليها أول مسجد في المدينة في العصر الحديث، وقد حضر معهم شخصان على غاية الأهمية من حيث العمل أحدهما يمثل رئيس الدولة الذي هو رئيس الجمهورية والثاني يمثل حكومة الجمهورية.

انحدرنا معهم من عند فندقنا الذي يقع في مكان مرتفع يشرف على نهر (سيلنقا) الذي تقع عليه المدينة، وهو الذي كان يماشي القطار قبل وصوله إلى المدينة حتى وصل إليها ورأيناه في هذا الصباح ولم يعرفه أحد من الذين كانوا معنا في القطار، وكلا الرجلين هذين مغولي الأصل.

وكان ذهابنا من الفندق في العاشرة ضحى فذهبنا إلى الأرض المقترحة لإقامة المسجد عليها وتقع في وسط المدينة من منطقة اسمها (سوفيت كايا) أي السوفيتية بمعنى المنطقة السوفيتية.

وجدناها أرضاً صالحة لمبنى المسجد لأنها في وسط البلدة القديمة، وفوق ذلك في مكان مسجد خشبي قديم كان موجوداً فيها قبل الشيوعية فصادره الشيوعيون عام ١٩٣٥م وهدموه.

وقد استعاد المسلمون أرضه هذه من الحكومة بعدما سقطت الشيوعية وذلك في عام ١٩٩٨م، ولم تكتف الحكومة الحاضرة بإعادة أرض المسجد إليهم، بل منحتهم أرضاً مجاورة له حتى يستطيعوا أن يبنوا عليها مسجداً كبيراً أو جيد السعة يتناسب مع أهمية المدينة في الوقت الحاضر.

وحالما استعاد الإخوة المسلمون أرض المسجد وما حولها سجلوا ذلك في الحكومة ثم أسرعوا يضعون الحجر الأساسي لمبنى المسجد مع أنهم لم يكونوا يملكون المال اللازم لبناء المسجد ولا ما يقرب من نصف التكلفة، وإنما كانوا جمعوا فيما بينهم مبلغاً من المال أنفقوه في تسجيل المسجد وفي رسم مخططاته، كما اشتروا مقادير من لبن الأجر رأيناهم كوموها في أرضه، ومع ذلك كتبوا على حجر بارز باللغة الروسية العبارة التالية:

صورة تذكارية في موقع المسجد في أولان أوده

(بإذن الله تعالى سوف يبنى المسجد الجامع لمدينة أولان أوده هنا) وفوق هذه العبارة رسم (هلال) شعار المسلمين بديلاً من الصليب شعار النصارى ولكن من دون أن يضعوا مع الهلال نجمة، لأن الشيوعيين كانوا يضعون

النجمة من دون هلال على الأبنية المهمة عندهم ولا يريد الإخوة المسلمون أن يكون لهم بهم أدنى شبه.

وقد خططوا لمبنى المسجد أن يتسع المصلى فيه لـ(١٥٠ مصلياً) لأن الأرض التي سيقام عليا المصلى هي ٢٥٠ متراً مربعاً، من مجموع مساحة الأرض الممنوحة للمسلمين التي مساحتها ثلاثة آلاف متر مربع فهي ٥٠×٦٠متر.

وقد نصحتهم بأن تكون مساحة المسجد أكثر من ذلك وأن يكون المسجد أكبر مما قدموه لأنهم لا يعلمون عدد من يصلون فيه في المستقبل، فالمسلمون هنا كثير لا يكفيهم ١٥٠ مكاناً للمصلين في المسجد يوم الجمعة وذلك فيما إذا عاد بعضهم إلى العمل بدينه، ومن ذلك، بل من أهمه وألزمه حضور صلاة الجمعة كما أنهم لا يعلمون ما يكون عليه الأمر بالنسبة إلى إسلام عدد من أهل البلاد، وذلك غير مستبعد.

لأننا نرى الان أعداداً كثيرة من الناس في أوروبا الغربية يدخلون في الإسلام يفضلونه على غيره بعد أن يكونوا درسوا الأديان الأخرى.

وقلت لهم: فيما يتعلق بنفقات إقامة المسجد لاشك أن المسلمين هنا لا يستطيعون أن يوفروا النفقات اللازمة له ولكن إخوانهم المسلمين في العالم وبخاصة في المملكة العربية السعودية ودول الخليج سوف يسارعون إلى تقديم المساعدة لهم على ذلك شرط أن يبدؤا العمل في البناء لأن الناس في بلادنا وفي غيرها يسرعون بالتبرع لبناء مسجد بدء في بنائه فوقف بسبب قصور النفقة بخلاف ما إذا كان المسجد لا يزال مشروعاً على الورق لم يبدأ العمل في بنائه بعد.

الحكومة تساعدهم على بناء المسجد:

صورة بين ممثلي الحكومة في الشارع الذي يقع عليه مسجد أولان أوده

قال لنا الإخوة لقد قدرنا لهذا المسجد الصغير خمسين ألف دولار من دون ملحقات ولا أسوار ولا شيء مما يكمل به المسجد، ولكننا قنعنا بذلك لضعف قدرتنا المالية.

ولشيء آخر وهو أن حكومة جمهوريتنا وعدتنا بدفع ٢٥ % من نفقات بناء المسجد مساعدة للمسلمين على بناء أول مسجد في جمهورية بوريات المغولية، وذلك لما يعرفونه وهم من المتعلمين المطلعين من العلاقات الجيدة التي كانت تربط بين المغول والمسلمين في التاريخ القديم، بل ويعرفون أن المغول الأوائل الذين وصلوا البلاد الإسلامية اعتنقوا الإسلام وأبدعوا بعد ذلك في الحضارة، بحيث شاركوا في الحضارة الإسلامية التي كانت سائدة في العالم الإسلامي آنذاك، وكانت قمة الحضارة الإنسانية لا تفضلها أية حضارة أخرى.

فقلت لهم: إن الأمر إذاً أصبح سهلاً واضحاً ما دام أن الحكومة ستساعدكم فعلاً فذكروا أن الحكومة اشترطت لمساعدتهم أن يجمعوا فيما بينهم ٢٥% من نفقات المسجد وأن يجدوا متبرعين من الخارج يتبرعون بـ٥٠% من النفقات، فقلت لهم: إننا نعلن لكم استعدادنا منذ الآن على تحمل النصف الباقي وهو ٥٠% من النفقات الذي يمثل ٢٥ ألف دولار أمريكي شرط أن تبدءوا العمل في المسجد، وأن ترسلوا إلينا في الرابطة المخططات والتقديرات المالية اللازمة حتى نوافق على اعتماد المبلغ بناء على شيء معروف لنا.

وحتى إذا رأيتم طبقاً لما نصحناكم به أن توسعوا المسجد أكبر مما قدرتموه أو أن تعملوا على بناء الملحقات الضرورية مثل المرافق العامة وبيت الإمام والمؤذن وإنشاء مدرسة إسلامية صغيرة فإننا نساعدكم بشيئين أولهما: دفع نصف نفقات بناء المسجد طبقاً للصفة التي ذكرناها من قبل وثانيهما: أن نتوسط لدى أهل الخير والمتبرعين في بلادنا لكي يساعدوكم على بناء الملحقات كأن نشفع لكم لدى (البنك الإسلامي للتنمية) الذي مقره مدينة جدة، كي يبني لكم المدرسة الإسلامية بجانب المسجد فهو يساعد على بناء المدارس والمعاهد ونحوها ولكنه لا يساعد على بناء المساجد وقد أسرع ممثلا الحكومة يقولان: إن مما ذكره المسلمون من وعد الحكومة لهم بالمساعدة على بناء المسجد بربع نفقاته صحيح ولكننا لا نريد أن يعلن ذلك لأنه سوف يحرجنا عند المسيحيين والبوذيين الذين سوف يطالبون الحكومة بأن تساعدهم أيضاً.

فقلنا لهما: إن ذلك سيكون محصوراً فيما بيننا إلا بعد أن يحين الأمر للبدء ببناء المسجد والإنفاق فيكون الأمر تحت تصرفكم بما ترونه إلا أننا نسجل شكرنا نحن أهل رابطة العالم الإسلامي في مكة على المعونات التي قدمتها الحكومة للإخوة المسلمين

فيما يتعلق بالمسجد، فهي لم تقصر على منحهم هذه الأرض الثمينة الواسعة في وسط المدينة القديمة المهمة بل أبدت الاستعداد للإسهام في نفقات المسجد.

وإننا لن نقصر الشكر والامتنان لكم في رابطة العالم الإسلامي بل سوف نخبر بذلك الجمعيات والمؤسسات الإسلامية في أنحاء العالم التي تتعامل معها الرابطة وتتعاون معها في الأمور الإسلامية.

وذلك لأن أية معاملة طيبة لأية مجموعة مسلمة في العالم يعتبر عملاً طيباً موجهاً للمسلمين جميعاً، لأن المسلمين إخوة مهما تباعدت أقطارهم وتباينت أمصارهم، قال الله تعالى في محكم كتابه المبين: (إنما المؤمنون إخوة).

مع ملاحظة أن أخوة المسلمين فيما بينهم لا تعني معاداة غيرهم ممن لا يعادون المسلمين ولا يريدون بهم شراً، كما ترون أنتم وتلمسون ذلك من خلال معاملتكم للإخوة المسلمين في روسيا الاتحادية.

ونحن نعتبر شعب المغول في هذه الجمهورية من الأصدقاء وإن لم يكونوا من الإخوة المسلمين، لأن العلاقات بيننا هي علاقات معتادة في الوقت الحاضر تتسم بالود وإرادة الخير المتبادلة للجميع.

ويرجو الطرفان لها القوة والازدياد لها في المستقبل.

البدء قبل الشتاء:

قال الإخوة المسلمون والآخرون يسمعون: إننا سنحرص على أن نبدأ ببناء المسجد قبل حلول فصل الشتاء، وقد عجبت من ذلكَ لأننا عندنا في بلادنا أن نفضل البناء في وقت الشتاء على البناء في فصل الصيف، لأن الشتاء أكثر ندى وأدعى إلى أن ينزل فيه مطر يغني عن رش الأسمنت بعد صبه، فسألتهم عن معنى ذلك

فأجابوا جواباً غريباً وهو أن البناء في الشتاء غير ممكن لأن الأسمنت يتجمد بين يدي العمال وهم يعملون فيه، هذا إذا استطاعوا خلطه وإيصال الماء إليه، وإلا فإن الماء نفسه متجمد فلا يكون سائلاً يصلح لخلط الأسمنت، ولذلك يتوقف البناءون بالأسمنت بل البناء في الشتاء البارد.

أما بناء البيوت القديمة فإنها تستمر إذا كان العمال لديهم من الملابس ما يتقون به البرد الفظيع في الشتاء، وذلك لكون البيوت كانت من الخشب الذي لا تحتاج مادته أن يدخل فيها الماء المعرض للتجمد.

لقد عجبت من ذلك، ولكن عجبي زال عندما تذكرت أن هذه الجمهورية تقع إلى الشمال من جمهورية منغوليا التي زرتها في العشر الأول من شهر مايو عام ١٩٩٢م فرأيت من قسوة البرد فيها في ذلك الشهر ما أفزعني حتى إنني أذكر أنني وزميليَّ في الرحلة آنذاك وهما الأستاذ محمد محمود حافظ، ورحمة الله بن عناية الله كنا نبقى في غرفة الفندق ونلبس ملابسنا فيها، وفوق ذلك كل الأغطية الموجودة في الغرفة، ومع ذلك لا نشعر بالدفء، مع العلم بأن الفندق مدفأ كله فما بالك بمن يكونون خارجه؟ وما بالك بمن يأتون إلى البلاد في فصل الشتاء.

كان ذلك في يوم من أيام مايو الباردة بسبب ريح كانت تهب شمالية، وإلاَّ فكنا قبل ذلك بأيام ثلاثة قضيناها في منغوليا أيام صحو وشمس نخرج ونتجول في البلاد في جو محتمل.

تبرع عاجل:

وقد تأثرنا من عملهم، وإخلاصهم في التصميم على بناء المسجد ومن مساعدة الحكومة المحلية لهم لذلك أعلنا لهم بحضور ممثلي الحكومة تبرع

رابطة العالم الإسلامي بمبلغ رمزي هو أربعة آلاف دولار أمريكية ندفعها لهم الآن، مع ما ذكرناه من وعد بالمساعدة على بناء المسجد بعد أن يبدءوا به ونصحناهم بأن يبدءوا ببناء المسجد فوراً ولو بهذا المبلغ مع ما سوف تعطيهم الحكومة، وما سوف يجمعونه من تبرعات المسلمين.

ثم وجهت كلامي للشخصين المهمين من البوريات وهم المغول وسألتهما عما إذا كانا قرأ شيئاً عن الدين الإسلامي، فأجابا بالنفي ولكن أحدهما واسمه (باوتوا) قال: الآن كل شخص في روسيا يبحث عن دين يعتنقه بعد أن سقطت الشيوعية التي كانت تعادي كل الأديان فقلت: إن هذا هو ما دعاني إلى أن أوجه لكما السؤال لأنكما من الشخصيات المهمة التي إذا أسلمت نرجو أن ينفع الله بها الإسلام والمسلمين في هذه البلاد، ويوم تسلمان تصبحان كالمسلمين القدماء في الإسلام من ناحية الإخوة الإسلامية لأن لا فرق في الإسلام بين المسلم الجديد والمسلم القديم إلا بما يقدمانه من عمل صالح.

وقلت: إنني أعدكما من الآن إذا أسلمتما أن تدعوكم رابطة العالم الإسلامي لأداء الحج في مكة المكرمة، ذلك التجمع الإسلامي الذي لا نظير له في العالم.

ثم قلت: إن القرآن يقول (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي).

هذا ويقع المسجد على شارع يسمى (سفرولف) تقع عليه بيوت قديمة خشبية أكثرها من طابق واحد، ولكن بعضها مطلي بطلاء يجعله يشبه البيت المبني من الأسمنت والآجر المطلي، والجو معتدل فليس حر ولا برد، بل إن المرء إذا دخل في الغرفة أحس بالحر فأشعل المكيف الموجود في غرفة الفندق.

مع العلم بأنهم ذكروا أن درجة البرودة تتدنى في الشتاء إلى ٤٠ درجة مئوية تحت الصفر.

وقلت للرجلين: إننا نشكر لكما ولحكومة هذه البلاد مساعدة المسلمين على بناء المسجد وحضوركم معنا إلى الأرض في هذا الصباح ونرجو أن نحتفل مع المسلمين بافتتاحه بعد بنائه فنراكم هنا كما رأيناكم اليوم.

الاجتماع بالمسلمين:

المؤلف يتحدث في اجتماعه بالمسلمين في أولان أوده على يمينه عبدالواحد نيازوف وعلى يساره المترجم أمير مظفَّر

حان موعد الاجتماع بالإخوة المسلمين، حيث كان موعده في الحادية عشرة وكان أهل الجمعية الإسلامية قد أخبروهم بقدومنا وطلبوا منهم الحضور للاجتماع بنا، وذلك رغم كون اليوم الجمعة هو يوم عمل لهم.

وكان موضع الاجتماع قاعة المحاضرات في المكتبة في المدينة حيث كانوا اتفقوا مع القائمين عليها على ذلك.

حضر من المسلمين نحو عشرين شخصاً منهم نساء ثلاث كبيرات في السن، كما حضر ممثلا الحكومة اللذان كانا معنا في الصباح، وكان من بين الحاضرين محاسبة الجمعية الإسلامية.

افتتح الاجتماع رئيس الجمعية الإسلامية فشكرنا على المجيء إلى هذه المدينة وتجشم متاعب السفر، وقال: هذه أول مرة يأتينا فيها وفد إسلامي، أو قال: إنها أول مرة يأتينا فيها وفد إسلامي من مكة المكرمة- لا أدري أيهما قال، ثم أخبر المسلمين بالمبلغ الذي تبرعنا به، وهو أربعة آلاف دولار أمريكية، وقال: هذا تبرع كريم ليس بالقليل، وهو أول تبرع نتسلمه من الخارج على بناء المسجد، قال: والأهم من ذلك أن وفد رابطة العالم الإسلامي قد أطلع على مشروع بناء المسجد وأبدى لنا نصائحه وتوجيهاته، ووعدنا بالمساعدة المالية على بناء المسجد، ولكن بعد أن نكون بدأنا البناء ونعدهم بأننا سوف نبذل جهدنا في ذلك، وأن نترك قريباً بإذن الله وبخاصة أن الشتاء قادم ولا ينبغي لنا أن نبدأ العمل حتى ينقضي.

ثم تكلم الأستاذ عبدالواحد نيازوف باللغة الروسية فأطال على عادته في الحديث من المكبر، وقد شرح الأخ عبدالواحد في كلمته طبقاً لما أخبرنا به المترجم لهم من أين قدمنا والأماكن التي زرناها في روسيا، وذكر تبرعنا بأربعة آلاف دولار لمشروع المسجد، وهذا أمر جيد للتوثيق بمعنى أن يعرف الجميع أن هذا المبلغ صرف للمسجد، ولا ينفرد بمعرفة ذلك رئيس الجمعية الإسلامية ونائبه ومحاسبتها، مع أن الذي عرفناه أن رئيس الجمعية ونائبه هما من عباد الله الصالحين وحالتهما المالية جيدة وهما يعملان بالتجارة.

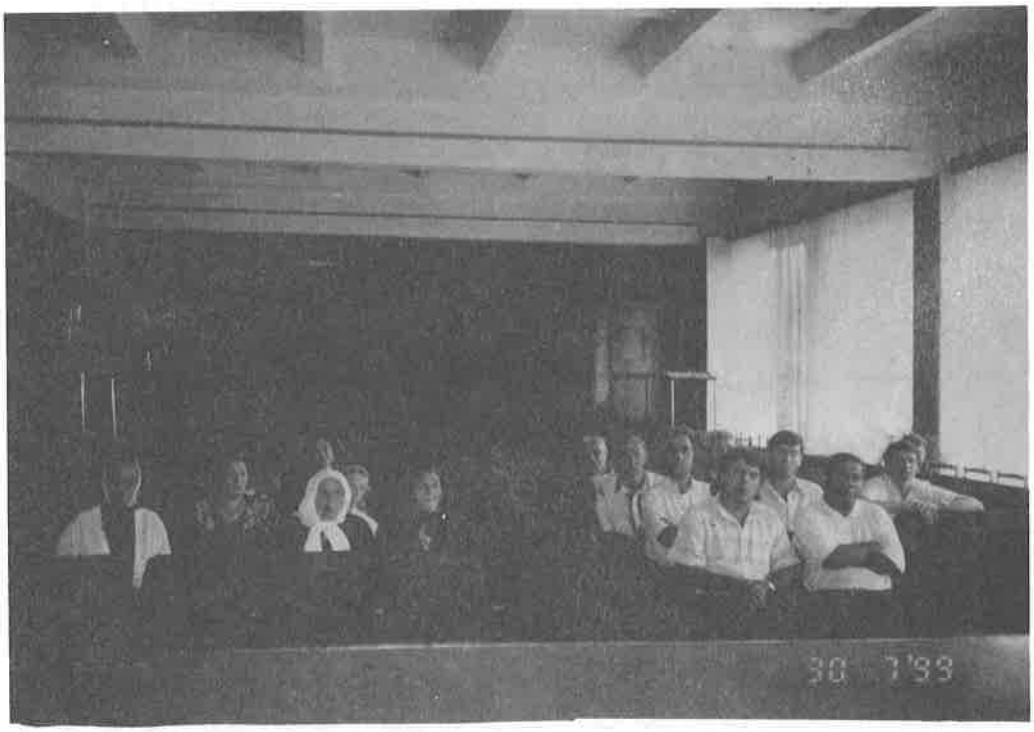

أول الحاضرين من المسلمين في أولان أوده يستمعون إلى كلام المؤلف

ثم طلبوا مني أن ألقي كلمتي للمسلمين فحمدت الله تعالى الذي قدر لنا المجيء إلى هذه البلاد ورؤية الإخوة المسلمين فيها، و شكرت رئيس الجمعية الإسلامية ونائبه على كرم اللقاء وقلت لهم: إننا سمعنا بوجود المسلمين في هذه المدينة المهمة التي هي عاصمة جمهورية (بوريات) ولكننا سمعنا أنه لا يوجد لهم فيها مسجد فحزنا لذلك غير أننا عندما وصلنا إليها ووقفنا في هذا الصباح على الأرض التي منحتها الحكومة للمسلمين كي يبنوا عليها أول مسجد في هذه المدينة في العصر الحديث، وحضور شخصين مهمين لرؤيتها معنا عند المسجد وحضورهما معنا هنا عرفنا أن ذلك يعكس اهتمام الحكومة بالمسلمين، ويوضح عنايتها ببناء المسجد وذلك أمر سرنا.

كما أننا رأينا من الإخوة (البرت عفيف) و(بصيرنور علي) الحرص على بناء المسجد سررنا أيضاً غاية السرور مما ولد عندنا اقتناعاً بأن المسجد سيبنى في هذه المدينة بإذن الله، وسوف ترتفع منارته شاهدة على وجود المسلمين الذي يعني العلاقات والصلات الثقافية ما بين شعب (البوريات) والشعوب الإسلامية على هدى من التفاهم وحسن تقدير الأمور بين الطرفين.

إنكم تعلمون أن الإسلام هو خير للجميع من مسلمين وغير مسلمين، أما بالنسبة للمسلمين فإن ذلك ظاهر، وأما بالنسبة لغير المسلمين فأنتم تعلمون أن المغول الذين وصلوا إلى بلاد المسلمين أسلموا وحسن إسلامهم ونبغ منهم في العلوم الإسلامية وأساليب الحكم من نبغ حتى إنهم كتبوا باللغة العربية من تاريخ المغول مثلما كتب غيرهم من المسلمين بهذه اللغة وقد ألف ذلك أكبر تراث تاريخي ثقافي للمغول مكتوب في أية لغة أخرى من لغات العالم سواء أكان ذلك في الوقت القديم أم في الوقت الحاضر.

ولا شك في أن الكتابة عن المغول وحضارتهم في تلك العصور القديمة التي مضت على أولها نحو ثمانمائة سنة أهم وأصعب من الكتابة عن حاضر المغول الذي يمكن أن يجد من يريد الكتابة فيه مصادر وعناصر متوفرة للكتابة.

وفي نهاية كلمتي كررت على أسماعهم ما قلته لأعضاء الجمعية وفي أرض المسجد أو نحواً منه، وذلك من أجل أن أتأكد من كونه وقر في قلوبهم وافهموه، ومن أجل أن نفهمه من حضر من هؤلاء الإخوة المسلمين في هذه القاعة.

صورة تذكارية عن المسلمين أهل أولان أوده بعد التحدث إليهم

ثم قال لهم الأستاذ عبدالواحد نيازوف بعد أن انتهيت من إلقاء كلمتي: هل من أسئلة؟ إن وجود فلان فيما بينكم فرصة ينبغي أن تنتهز فقال أحدهم: إن وجود المسجد ضروري في المدينة فنحن نعيش في هذه المدينة من دون أن نستطيع أن نشهد جمعة أو جماعة، وهذا أمر لا يليق بالمسلمين.

ثم تكلم أحد الأفغان الموجودين في المدينة فسأل عن السبب في استمرار الحرب بين فريقين من المسلمين في أفغانستان، ولماذا لم تقم رابطة العالم الإسلامي بإيقافها، فقلت له: إن رابطة العالم الإسلامي بذلت جهوداً مكثفة وأرسلت عدة وفود إلى أفغانستان واتصلت بالحاكمين فيها ومن آخر ما فعلته

أن اتصلت بوزير خارجية طالبان تطلب منه العمل على إيقاف هذه الحرب، كما حاولت الاتصال بالجانب الآخر غير أن ذلك لم يتيسر، والذي نعتقده أن سبب استمرار الحرب هو تدخل الدول الأجنبية لدعم الأقلية التي تعتبر منشقة الآن في شمال أفغانستان، وذلك بإمدادها بالمال والسلاح وقد أصبحت الدول التي تمدها بذلك معروفة إلا أن الجميع باتوا الآن مقتنعين من أنه يصعب على تلك الأقلية التي تقاتل في شمال البلاد أن تتغلب على حكومة طالبان التي تسيطر الآن على ٨٠% من أراضي أفغانستان، ولذلك لا مجال لها إلاَّ بالصلح والاتفاق على حل وسط للجميع.

هذا وقد زاد عدد الحاضرين بنحو خمسة أشخاص، تكلم أحدهم فقال: إننا نحن المسلمين يبلغ عددنا في هذه الجمهورية عشرين ألفاً، ونحن في حاجة ماسة للمسجد ونشكر للحكومة جهودها في مساعدة المسلمين على بناء المسجد.

وقال أحد المسلمين: إننا نأسف إذْ نخبركم أننا نعرف الأديان الأخرى أكثر من معرفتنا بديننا الإسلامي لأن أرباب الأديان يعرضون علينا المعرفة بدينهم، ويعطوننا وغيرنا الكتب والنشرات بخلاف المسلمين، ولذلك نحن نحتاج إلى الكتب الإسلامية أكثر مما نحتاج إلى أي شيء آخر.

فقلت: إن الكتب الإسلامية مهمة لكم أنتم المسلمين الذين يحتاجون إلى المعرفة بدينكم، وهي أيضاً مهمة لغير المسلمين حتى يعرفوا الإسلام، وقد يهديهم الله إلى الإسلام فيسلمون، وإذا لم يسلموا فإنه سيزيل- على الأقل- بعض ما كان علق في أذهان الناس من الافتراءات والأكاذيب التي ألصقت بالإسلام، ونعدكم أننا سوف نتعاون مع الإدارة الدينية للأقسام الآسيوية من روسيا في هذا الأمر.

ثم قلت لهم: إنه يجب أن يبحث لكم عن إمام للمسجد متخرج من إحدى كليات الشريعة المعترف بها حتى يرشد كباركم ويعلم صغاركم، ويؤمكم في الصلاة ويجهز موتاكم، وفي الوقت نفسه يرشدكم إلى الدعوة إلى الإسلام إذا كان فيكم من يصلح لإبلاغ الدعوة الإسلامية.

وقلت: إن ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الروسية يجب أن تكون في متناول أيدي الذين يريدونها، سواء كانوا من المسلمين أم غيرهم لأن التجربة قد علمتنا أن أناساً من أرباب الديانات الأخرى هداهم الله تعالى إلى الإسلام بسبب اطلاعهم على ترجمة معاني القرآن الكريم، إضافة إلى أنها مهمة للمسلم لكي يفهم مقاصد القرآن ويعرف ما أمر الله به في القرآن وما نهى عنه.

وقلت لهم: إنني أنصحكم بأن تجعلوا للمسجد قبة مميزة ومنارة ظاهرة حتى يكون ذلك دليلاً لمن يريد المعرفة بالإسلام إذْ يعرف أن المسجد موجود وأن المعرفة بالدين الإسلامي أو التعرف عليه يمكن أن يحصل عليها من المسجد.

ثم نهض رئيس الجمعية الإسلامية الأخ (البرت عفيف) وقال: شكراً لكم مرة أخرى على قدومكم إلى هذه البلاد، ونتمنى أن نلتقي بكم مع الإخوة المسلمين مرة أخرى.

ثم طلبت الإخوات المسنات صورة تذكارية مع وفد الرابطة، ولما التقطت الصورة قلن: رحمت، رحمت، وهذه كلمة الشكر في بعض اللغات الحديثة، المتفرعة من التركية مثل الإيغورية التي تسيطر عليها الصين في الوقت الحاضر، ومثل الأزبكية ومثل التتارية التي هي لغة الأكثرية من المسلمين في هذه الجمهورية، وهكذا كلمة (رحمت) يستعملونها كما نستعمل كلمة (شكراً) في معرض الامتنان ومثل ما نستعمل كلمة (ثانك يو) بالإنكليزية.

وبلغني أن بعض المتعلمين منهم تعليماً إسلامياً يقولون في هذا الشأن (رحمت ذو الرحمة) يقصدون الله سبحانه وتعالى، هكذا ينطقون بكلمة (ذو) في هذه الحالة التي ينبغي أن تكون بالجر لأنها في معرض الإضافة، وحقها الجر كما هو معروف.

مأدبة الحكومة:

أقامت حكومة هذه الجمهورية مأدبة غداء تكريماً لوفدنا حضرها ١١ شخصاً، وقد أقاموها في فندقنا الذي نقيم فيه وهو فندق القصر في الساعة الثانية عشرة والنصف ظهراً، وهذا وقت مبكر، غير أنه ناسبنا حتى تكون لدينا فسحة من الوقت للجولة على المدينة وما حولها من معالم في ضواحيها مثّل الحكومة في هذه المأدبة الشخصان اللذان معنا منذ الصباح وهما ممثل رئيس الجمهورية وممثل الحكومة.

بدءوا الغداء بتقديم سلطة فيها نوع من الخضرات يشبه اللوبيا إلا أنه دقيق وفيه لزوجة كالتي تكون في البامية، إلا أنه أخف مما في البامية، وهذا ما لم أعرفه من قبل، رغم كوني أحرص على رؤية الأسواق الشعبية في البلدان التي أزورها حتى اطلع على أنواع الفاكهة والخضرات التي تكون موجودة فيها وهذا من المقبلات إلى جانب نوع صغير من السمك ثم جاءوا بحساء جيد من طعام البحر، وقد حرصوا على ألا يقرب المائدة شيء ليس من طعام البحر من أسماك وارابيان وهو الروبيان وغيرها على هيئات مختلفة، وذلك لكيلا يقدموا لنا شيئاً لا نريده مثل اللحم الذي ذبحه غير مسلمين ولا مسيحيين.

ثم كان الطبق الرئيسي من سمك نهري لذيذ ذكروا أنهم يصطادونه من النهر، أو قالوا من المياه العذبة عندهم وأنه دسم جيد.

دارت أحاديث معهم مفيدة على المائدة إذ انتهزت فرصة وجودنا معهم لأتحدث عن حاضر المغول الذين يسمونهم المنغول مثلما كان أبناء عمومتهم وجيرانهم في جمهورية المغول التي عاصمتها (اولان باتور) يسمون أنفسهم بالمنغول بإثبات نون قبل الغين، فيسمون جمهوريتهم جمهورية منغوليا، ولا شك في أن اسمهم القديم كان المنغول ولكن أسلافنا من مؤرخي العرب حذفوا النون من اسمهم، وربما كانوا فعلوا ذلك ظناً منهم أنها للغنة وليست حرفاً أصيلاً في الكلمة.

تكلموا أولاً عن موقع جمهوريتهم النائي في روسيا فذكروا أن موسكو تبعد عنهم ٥٦٠٠ كيلومتر أي إنها أبعد عنهم من موسكو عن جدة بنحو مرتين، وأن مدينة (بتروبا فالوفسكا) تبعد عنهم بـ ٥٠٠٠ كيلومتر.

وهذا يصدق ما كان ذكره لي إخواني أهل الجمعية الإسلامية في تلك المدينة عندما زرناهم في أول هذه السفرة في روسيا: وكانوا حصلوا من الحكومة المحلية في المنطقة على أرض ثمينة ليقيموا عليها أول مسجد في المنطقة، وقد منحتهم الحكومة تلك الأرض بالمجان مثلما فعلت حكومة جمهورية بوريات هذه مع إخوتهم المسلمين، قالوا: إذا بني مسجدنا فسيكون أول مسجد يبنى في منطقة الشرق الأقصى الروسي، ويبعد أقرب مسجد إليه في بلادنا روسيا بخمسة آلاف كيلومتر، يريدون أنه لا يوجد مسجد قريب منه في الأراضي الروسية وأن أقرب مسجد منه في أرض روسيا يبعد عنه بخمسة آلاف كيلومتر.

كما ذكروا أن مدينة (خباروفسكا) التي زرتها أيضاً وهي واقعة في الشرق الروسي الأقصى غير أنها أقرب من مدينة (بترو بافلوفسكا) بمسافة ٢٥٠٠ كيلومتر.

وهذا بعد متناه على أن الذي يكون مثلي سبق له أن زار جمهورية منغوليا التي عاصمتها (أولان باتور) وأحس ببعدها الشديد يتصور هذا البعد السحيق لهذه الجمهورية المغولية الصغيرة.

وسألتهم أولاً عن نسبة المغوليين الأصلاء فيها فأجابوا بأنهم أقلية في جمهوريتهم هذه ونسبتهم فيها هي ٢٧% والبقية ٦٨% من الروس و٧% من المسلمين.

فهم يشجعون التتار المسلمين الذين يسكنون في أنحاء روسيا على القدوم إليهم والسكنى في جمهوريتهم.

قالوا: ونحن نعالج قلتنا في جمهوريتنا بتشجيع مجيء البوريات (المنغول) إليها من سائر أنحاء روسيا الاتحادية، قلت: فأنتم إذاً تفعلون مثلما يفعل التتار المسلمون في جمهورية تتارستان الذين لا تزيد نسبتهم في جمهورتهم على ٤٥% أما البقية فإنها من الروس والمتروسين ومن بقية السلافيين كالروس البيض وحتى الأرمن واليهود، وهناك ٥% من أولئك السكان غير التتار.

ولم أقل للبوريات هؤلاء ما قلته بالفعل للإخوة في تتارستان من أنهم يجب عليهم أن يزيدوا عددهم عن طريق إباحة تعدد الزوجات للمسلمين لأن الله سبحانه وتعالى قد أباحه وظهرت حكمة ذلك في حاجة المسلمين في هذه البلاد التتارية وأمثالها كما أن بإمكانهم إنشاء صناديق أهلية للتشجيع على الزواج المبكر، ومساعدة من يريدون ذلك، ولكنهم لا يقوون على الإنفاق عليه.

لم أقل لهم ذلك لأنهم- أي البوريات- أغلبهم يعتنقون الديانة البوذية وفيهم نسبة قليلة من المسيحيين كما سبق.

وقالوا: إن المشكلة أن عدد المغول في روسيا كلها قليل، وليسوا كالتتار الذين عددهم كثير ولكنهم متفرقون في جميع أنحاء روسيا الاتحادية، ولا توجد جمهورية

أخرى للمغول إلا واحدة صغيرة جداً واقعة شمال منطقة القوقاز، ولقوم آخرين من المغول يقال لهم (القولق) فقلت لهم إنني أعرف ذلك وقد وصلنا إلى حدود جمهوريتهم عندما كنا نتجول في شمال جمهورية داغستان ولكننا لم ندخلها وقد ذكر لنا الإخوة الداغستانيون آنذاك أن جمهوريتهم صغيرة لأن عددهم قليل.

فعلق الرجلان ومن معهم من أهل هذه الجمهورية على ذلك بأن قالوا: إن هجرة أولئك المغول (القولق) إلى منطقة القوقاز بسبب مشكلات حدثت لهم عندما كانوا في الصين قبل ٤٠٠ سنة فصار الصينيون يقتلونهم لأسباب عدة ففروا من الصين إلى منطقة القوقاز، واستقروا هناك منذ ذلك التاريخ، إلا أنهم ذكروا أنهم هاجروا أول الأمر من الصين إلى منطقة نهر الفولقا، فحصلت بينهم وبين القازاق مشكلات اضطروا معها إلى الهجرة إلى منطقة القوقاز والاستقرار فيها.

ثم سألتهم عما كان يشغل ذهني من الفرق بين التتار والمغول الذين ذكر علماؤنا المتقدمون أنهم جميعاً مغول، وذكر بعضهم أن التتار هم بادية المغول، فذكروا أنهم لا يعرفون التتار الآن وأنهم لا يعرفون إلا المغول ولا يوجد عندهم استعمال كلمة (تتار) في الوقت الحاضر، بل قال أحدهم إنهم لا يعرفون ذلك في تاريخهم.

هذا مع العلم بأن (البوريات) هؤلاء يكثر فيهم الذين درسوا دراسات عليا، وذكر الإخوة أنهم يأتون بالدرجة الثانية بعد اليهود في حصولهم على شهادات الدراسات العليا بالنسبة إلى طوائف السكان في روسيا الاتحادية.

وذكر البوريات أن لديهم في مدينتهم هذه جامعتين فيهما دراسات عليا وجامعتين دون دراسات عليا، مع العلم بأن سكان المدينة نحو أربعمائة ألف نسمة.

قلت لهم: إن أخبار المغول تزخر بها الكتب العربية بتفصيل عجيب، فذكروا أنهم يعرفون ذلك، وأن العالم كله صار يأخذ أخبار المغول من المراجع العربية.

قلت: ونلاحظ في التاريخ إنه ما احتك المغول بالمسلمين إلاَّ أسلموا فهل معنا ذلك أن العقل المغولي يفهم الدين الإسلامي وينقاد إليه أكثر من الأديان الأخرى؟

إنه لا يمكن دفع ذلك بغلبة البوذية الآن على معظم المغول إلا إذا كان هناك دعوة إسلامية كافية وجهت إلى المغول، وشرحت لهم مبادئ الدين الإسلامي، وما ينبغي أن يكون عليه المسلم.

وقلت لهم: كان المسلمون في كل أنحاء سيبيريا وما كان عنها جنوباً من بلاد التتار والبشكير إلى بلاد القوقاز كلهم كانوا قبل الحكم الروسي يكتبون كتبهم بالحروف العربية.

ولكن بلغاتهم المحلية، فكان أي شخص منهم يقرأ العبارات بالعربية غير أن الحكم الروسي ألغى الحروف العربية من كتابة لغاتهم كلها لذلك انقطعت الصلة ما بينهم وبين العالم العربي، ثم جاءت الشيوعية التي قطعت كل أنواع اتصال المسلمين بإخوانهم المسلمين في الخارج، والأهم من ذلك أن إلغاء الحروف العربية قد قطع الصلة الثقافية بين الأجيال الحديثة من المسلمين وبين تراثهم الثقافي القديم المكتوب بالحروف العربية.

قلت هذا موجهاً كلامي إلى الإخوة المسلمين المسمين بالتتار الذين كانوا حاضرين في المأدبة ولكنني أشركت مضيفينا المغوّل بالقول: إنه لو كان التتار من أهل المنطقة لا يزالون يتخذون الحروف العربية لكتابتهم مثلما كان أسلافهم يعملون ذلك لعدة قرون لكانوا قرءوا عليكم بعض ما في الكتب العربية عن تاريخ المغول.

صلة قديمة :

وقلت لهم: ليست تلك هي الصلة الثقافية الباقية على القرون ما بين المغول والعرب المسلمين، ولكن لمناسبة الحروف العربية التي هجرها الناس في الاتحاد السوفيتي بناء على أمر من الحكومة الشيوعية واستبدلوا بها الحروف الروسية السلاقية أخبركم بأنني وجدت قومكم المغول في جمهورية منغوليا التي هي هي الجمهورية المنغولية الوحيدة المستقلة، وعاصمتها (أولان باتور) أي باللفظ الأول نفسه من اسم عاصمتكم (أولان اوده) لا تزال تستعمل في كتابتها حروفاً عربية قديمة في الكتابة، وتلك حروف عربية جاءت إلى منطقة تركستان الشرقية قديماً مع دعاة من النصرانية قبل ظهور الإسلام، ولم تكن في تلك البلاد في تلك القرون توجد كتابة محلية فاختارها أهل تركستان ومن ثم انتقلت إلى المغول في بلادهم واستعملوها ولا يزالون.

وكنت نقلت نماذج وصوراً منها في كتاب (شمال شرق آسيا) الذي يتضمن الحديث عن منطقة (ايركوتسك) وعن جمهورية (منغوليا).

وقلت لهم: إنني لا أشك في أن أعداداً كبيرة من سكان البلدان العربية والبلدان المسلمة التي تقع إلى الشرق منها يرجعون في أنسابهم إلى المغول، لأن المغول أسلموا واستوطنوا بعض البلدان العربية، ولا يعقل أن ينقرض أخلافهم، ولكن لعدم وجود البحوث المتعلقة بهم ضاعت أخبارهم ودخلوا في غيرهم من السكان.

جولة في مدينة أولان أوده :

مع بصير نور علي في مرتفع يطل من بعد على مدينة أولان أوده

ذكرت قبل قليل أن لفظ (أولان) الموجود في اسم هذه المدينة عاصمة جمهورية (بوريات) هو نفسه اللفظ الموجود في اسم (أولان باتور) عاصمة جمهورية منغوليا المستقلة، إذْ يعني اسم عاصمة جمهورية منغوليا البطل الأحمر، لأن (اولان) أحمر وباتور: البطل.

وهنا يعني اسم المدينة أوده الحمراء، (أولان) أحمر أو حمراء، وأوده هو اسم النهر الذي يجري في المدينة وهو أحد نهرين كبيرين فيها.

بيت تقليدي من الخشب أسود اللون في مدينة أولان أوده

بعد انقضاء الغداء الحكومي المبكر وتوديع ممثلي الحكومة صعدنا إلى الغرف حيث صلينا الظهر والعصر جمعاً مبكراً، فليس في البلاد جمعة مع الأسف، وقد أخبرنا الإخوة المسلمين الذين كان بعضهم يظن أن الجمعة لا تصح إلاَّ في مسجد مبني، وقلنا لهم: إنه لا يجوز أن تبقوا بدون أن تصلوا الجمعة، وأنتم عدد لا بأس به، وحتى يمكنكم الاتصال بكبار المسلمين لكي يبلغوا من عندهم من المسلمين بأنه سوف تقام في المدينة صلاة جمعة في مكان مستأجر إلى أن يتم بناء المسجد.

ويمكنكم أن تفعلوا ما يفعله إخوان لكم في الدين في أوروبا وأمريكا وهو أن يستأجروا قاعة أو غرفة كبيرة في أي مكان عام ويصلوا فيها الجمعة، والعادة أن يطلبوا بعد انقضاء الصلاة من المصلين أن يتبرعوا بالمبلغ الذي استأجر به المكان على الأقل، وقد أخبرنا جماعات منهم أنهم يجمعون عادة من المصلين ما يكفي لدفع أجرة المكان.

وقد اتفقنا على الجولة في المدينة وضواحيها مع الأخ الكريم (بصير نور علي) رئيس الجمعية الإسلامية هنا الذي يسميه بعضهم محتسب الجمعية، بمعنى المتبرع بأن يكون رئيساً لها أو أنه صاحب الحسبة فيها، لا ندري أي المعنيين لأن الذين ترجموا لنا ذلك عن التتارية لا يعرفون أي المعنيين أريد.

أكبر ميدان في المدينة:

بدأت الجولة بزيارة أكبر ميادين المدينة وأهمها عندهم وهو (بولشد سوفيت) بمعنى الساحة السوفيتية، لأن (بولشد) بالروسية تعني ساحة أو ميداناً، ولم أرهم غيروا اسمها بعد الاستقلال لأن الاتحاد السوفيتي قد ولى وولى عهده الشيوعي البغيض.

كان من أوائل الأشياء التي ظنوها مهمة فيه وهي مهمة بالنسبة للشيوعيين ومن غيرهم من بني قومهم هو أكبر رأس للينين فيه في العالم كله!

وتفسير ذلك أنهم نصبوا فيه تمثالاً لرأس لينين هو أكبر تمثال لرأسه من أي مكان آخر فيه تمثال لذلك الرأس الشرير.

ميدان بلوشدي ريفالوشي (ساحة الثورة) في أولان أوده مع الأخ بصير

وعلى هذا الميدان المهم رئاسة الحكومة ومبنى بلدية المدينة، ومبنى فرع الاستخبارات الروسية الشهيرة (كي، جي، بي) ومبنى رئاسة الجمهورية المحلية وكذلك المجلس النيابي المحلي (البرلمان) ورئاسة الجمهورية في مبنى واحد واقع على هذا الميدان.

وعليه أيضاً أبنية مهمة أخرى منها (دار الأوبرا) وذلك لكونه ميداناً متسعاً، وقد نوه الأخ رئيس الجمعية الإسلامية بأن مبنى إدارة الأوبرا بناه اليابانيون بعد الحرب العالمية الثانية.

ويصب في هذا الميدان شارع مهم من شوارع المدينة اسمه (شارع لينين) انطلاقاً من عادة قديمة شاملة للمدن السوفيتية كلها في عهد الاتحاد السوفيتي وهي أن يسموا أحد الشوارع المهمة في المدينة باسم (لينين).

وقد رأيت ذلك في مدنهم كلها التي زرتها وقد زرت أكثرها على امتداد الاتحاد السوفيتي المنحل، فرأيت فيها ذلك.

والعجيب أن حكومة روسيا ومعها الشعب الروسي قد طلقوا المبدأ الشيوعي وصاروا يتبارون في ذكر سيئاته وما فعله بالشعب، إلاَّ أنهم مع ذلك لم يغيروا في أسماء الميادين والشوارع التي تحمل أسماء الشيوعيين مثل مارك وانجلز ولينين، ما عدا أشياء قليلة مثل اسم المدينة الثانية في روسيا التي كان اسمها في زمن الشيوعية (لينين قراد) فصار اسمها الآن (بطرس بورج) وهو اسمها القديم قبل الشيوعية.

والأعجب من ذلك أنه حتى الدول المستقلة التي انفصلت عن الاتحاد السوفيتي ومنها ست دول مسلمة هي أوزبكستان وقازاقستان وتاجيكستان وقير غيزستان وتركمانيا وإذربيجان لم تغير أسماء الميادين والشوارع التي تحمل اسم لينين، بل إن تمثال لينين لا يزال منتصباً في الميادين المسماة باسمه.

وقد سألت طائفة منهم عن ذلك مع بغضهم لمذهبه فقالوا: إن الناس يعتبرون أن مثل هذه التسميات تمثل حقبة من تاريخ البلاد لا يريدون تغييرها.

مع العلم بأنني تحققت من نتائج الانتخابات التي جرت ومن أخبار من لا نشك في صحة خبرهم أن الذين لا يزالون يحبون لينين أو يؤيدون الشيوعية لا تزيد نسبتهم على ١٠% من مجموع السكان، قالوا: وأغلبهم من كبار السن الذين تعودوا على الحياة الشيوعية، ويصعب عليهم تغيير أفكارهم.

وهذا عذر قد يكون واضحاً لأرباب المدن الروسية في القول بالنسبة لأهل المدن الأخرى، وبخاصة المدن في الجمهوريات المسلمة المستقلة، ولينين أحد قادة الشيوعية التي حاربتهم في دينهم، وسفهت أحلام كبارهم، بل قتلت العلماء

ورجال الدين، وأحرقت كتب الثقافة الإسلامية، بل وزيفت تاريخ المسلمين بأجمعه، فجعلت تاريخ بلادهم يبتدئ من ناحية التمدن والازدهار من تاريخ حلول الشيوعية في البلاد؟

ولاشك في أن مرد جزء كبير من ذلك إلى ما كان غرسه الشيوعيون في نفوس شعوب الاتحاد السوفيتي من خوف ورهبة، وما ران على عقولهم من خمول وتواكل لمدة تزيد على سبعين عاماً قد جعلتهم في حالة من التبلد والكسل والخوف من عواقب الأمور.

اللقاء بكبار المسئولين في الجمهورية:

أثناء الاجتماع بالمسئولين في أولان أوده بين المترجم أمير مظفر إلى يساري وعبدالواحد نيازوف إلى اليمين

كان العاملون في الجمعية الإسلامية وعلى رأسهم الأخ (بصير نور محمد) رئيس الجمعية ونائبه الأخ البرت غفيف، وغفيف كما ينطقون بها بالغين المعجمة أي المنقوطة، هي عفيف العربية بالعين المهملة أي غير المنقوطة قد أخبرونا بأن كبار المسئولين في الدولة قد طلبوا الاجتماع بنا في أماكن عملهم ومنهم رئيس البرلمان، ونائب رئيس الجمهورية، ورئيس بلدية العاصمة (أولان أوده) فأخبرناهم بأننا لا نتمكن من تخصيص وقت لكل واحد منهم لأن الوقت قصير وإقامتنا بهذه الجمهورية محدودة.

فذهبوا إليهم وتشاوروا معهم ثم عادوا يقولون: إنهم اتفقوا على أن يكون لنا لقاء واحد بهم جميعاً في مبنى البرلمان المحلي، لأن البرلمان- فيما قالوا يجمعهم كلهم.

وهكذا كان.

دخلنا من الساحة السوفيتية الواسعة التي يقع فيها البرلمان إلى بابه الخارجي ويقع على الميدان، ولكن لابد من صعود درج عريض أمامه كما تكون الأبنية ذات المعنى المهم في هذه البلاد لابد من أن تكون في مقدمات عالية بحيث يصعد إليها بدرج قبل الوصول إلى الباب الخارجي، وهذا أمر صار شائعاً في العالم، إلا أن الذي ليس شائعاً فيه أن جميع الأبنية المهمة التي يعمل فيها أشخاص من رفيعي القدر لابد من أن يكون فيها درج صعب يكون أحياناً درجاً بعد درج.

وهذا صادفنا في جميع الأبنية دون استثناء، بل لقد عجبت عندما زرنا الشيخ الكبير المسئول من حكومة الأورال المحلية الذي يقيم في مدينة (يكاثرين بورغ) فصعدنا إليه في مكتبه في الطابق الرابع بصحبة عاملين في مكتبه

والشخص المكلف من الحكومة المحلية بمرافقتنا طيلة بقائنا في المنطقة وهي السيدة (روضة...) من أخواتنا التتاريات المسلمات وموظفة في الحكومة مسئولة عما يتعلق بالشئون الاجتماعية والدينية.

وعندما رأيت الرجل مسناً عجبت من كونه يصعد هذا الدرج للدور الرابع كل يوم ثم تبين أن الأمر ليس كذلك وأن هناك مصعداً موجوداً في المبنى نزلنا منه وكنا حريصين على أن نصعد فيه.

إلاَّ أن معرفتي السابقة بعدم مبالاة الشيوعيين براحة الجمهور وحتى الزوار هو الذي جعلني اعتقد أن تكلف الزوار بصعود الدرج أمر مرسوم.

كان يرافقنا الأخ الأستاذ (عبدالواحد نيازوف) رئيس المركز الإسلامي في موسكو ومن ذوي النفوذ والمقام في الحكومة الروسية وأربعة من أعضاء الجمعية الإسلامية فيهم الرئيس ونائبه، ووجدنا عندهم الشخصين اللذين كانا لازمانا وهما ممثل الحكومة وممثل رئيس الجمهورية.

صعدنا بعد الدخول من الباب الخارجي الذي وجدنا فيه شخصاً ينتظرنا مع درج إلى الطابق الثاني فوجدناهم ينتظروننا حيث رحبوا بنا ترحيباً حاراً، وأجلسونا فور وصولنا إلى مائدة مباحثات طويلة، اتسعت لبعضنا وضاقت ببعض المرافقين ومنهم اثنان من أعضاء الجمعية الإسلامية، وعدد من كبار الموظفين عندهم، فجلسوا خلفنا يستمعون من دون أن يشاركوا في المحادثات.

وقد بدأ لنا أن رئيس البرلمان هو الذي يرأس الجانب المغولي وهو فيكتور ايزمايلوف فافيلوفيتش نائب رئيس برلمان جمهورية بوريات الذاتية الحكم في الاجتماع الذي عقد في مبنى البرلمان وحضره كل من:

١- سيردروف سميون مستشار رئيس الجمهورية لشئون الأديان.

٢- سيديبوف باتو مندوب مجلس شئون الأديان.

٣- المسئولون في الجمعية الإسلامية.

٤- الوفد المرافق.

وبعد تقديم الدكتور عبدالواحد نيازوف لهم وفد الرابطة وتعريف بالرابطة ونشاطها رحب نائب رئيس البرلمان بوفد الرابطة بزيارته الأولى لجمهوريتهم مشيراً إلى تمتع المسلمين وغيرهم بالحريات والحقوق.

كبار المسئولين في أولان أوده أثناء الاجتماع معهم

ثم تحدثت إليهم معرباً عن شكري وتقديري لما لقيه الوفد من حفاوة وترحيب وتكلمت عما يحظى به المسلمون من معاملة جيدة واحترام في هذه الجمهورية حتى كان المسئولون الحكوميون يرافقون الوفد في زيارته لموقع الأرض التي منحتها الحكومة لبناء مسجد، وأن هذه العلاقة الودية هي مما يعكس حسن العلاقة والصداقة بين الشعب السعودي والشعب الروسي، ومن مظاهر هذه الصداقة أن المسئولين وغيرهم يتطلعون إلى تقوية العلاقات بين الطرفين.

وقلت لهم: إن الإسلام هو الدين الرسمي في المملكة العربية السعودية، وإن رابطة العالم الإسلامي هيئة شعبية عالمية تتخذ من مكة المكرمة مهبط الحي مقراً لها، وتحظى بعناية ورعاية حكومة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز، وهي تعمل على توثيق الصلات الثقافية بين المسلمين في مختلف أنحاء العالم، لذلك نسجل المعاملة التي تلقاها الأقليات المسلمة في العالم، وكل معاملة طيبة يتمتع بها المسلمون تعتبر بادرة طيبة نحو تطوير العلاقات مع الشعوب الإسلامية كلها.

ثم علق نائب رئيس البرلمان على كلمتي قائلاً: بأن الأغلبية المسلمة هم التتار وقد زارهم أعضاء من برلمان تتارستان وأن المسلمين التتار لهم مركز ثقافي في أولان اوده، كما أن القرى التتارية توجد على بعد ٣٠ كيلومتراً من العاصمة وأن عدد القوميات في جمهورية بوريات مائة قومية مختلفة والمسيحية هي أكثر الأديان انتشاراً ثم البوذية ثم الإسلام، وأن هذه القوميات والطوائف تتمتع بالمساواة وأن بناء المسجد سيعزز ثقة المسلمين بدينهم ثم أنهى حديثه بالشكر لزيارة وفد الرابطة واهتمامه بمسلمي بوريات وبمسجدهم.

وقد قالوا لنا: إنكم أول وفد عربي من المملكة العربية السعودية يصل إلينا، ونرجو أن تكون هناك وفود أخرى من أجل تقوية العلاقات الاقتصادية وغيرها مع جمهوريتنا، فقلت: إن العلاقات الثقافية تسبق العلاقات الأخرى في العادة، والمراد بالعلاقات الثقافية التي تكون بين الجمعيات والجماعات والشخصيات الثقافية في المنطقة.

أما بالنسبة إلينا نحن فإن الاستقبال الحار الذي قوبلنا به والحفاوة البالغة التي واجهناها منكم تجعلنا نفكر في العودة إلى جمهوريتكم في وقت يكون أوسع من هذا الوقت الذي جاء في آخر زيارة لأنحاء من جمهورية روسيا الاتحادية الواسعة.

ولكننا نأمل في أن نزوركم على أية حال عندما يتم بناء المسجد وتدعوننا للاشتراك في الاحتفال بافتتاحه، وإننا نرى لكم أن تدعو أعداداً كبيرة من الشخصيات الثقافية التي تهتم بالأمور الإسلامية في البلدان العربية كلها وبينها شخصيات اقتصادية وذات نفوذ على المؤسسات المالية هناك، ونحن سوف نقدم لكم قائمة بتلك الشخصيات إذا أردتم ذلك حتى توجهوا لها الدعوة.

ثم قلت: إن علاقة البلدان العربية بالمغول لم تكن بالعلاقة المؤقتة التي بنيت على غرض إذا زال زالت وإنما هي علاقات استمرت وتوطدت بعد أن كانت علاقة حروب وتخريب من أول الأمر صارت علاقة ثقافية قوية، لأن المغول دخلوا في الإسلام وصاروا من أنصاره، بل من أعظم أنصاره، ويكفي أن نستشهد في هذا الصدد بالخان الكبير الملك محمد بركة حفيد جنكيز خان، الذي فتح الله به بلاد الشمال حتى أصبحت بلاداً مسلمة، وما يزال بقايا المسلمين فيها حتى الآن، وربما كان إخواننا المسمون بالتتار من أنسال أولئك

المسلمين العظام الذين كانوا في دولة اولتون اورده، دولة القبيلة الذهبية التي حكمت أكثر بلاد الروس الأصلية إلى جانب أقطار شرقي القارة الأوروبية من روسيا البيضاء وبولندا شمالاً حتى القرم جنوباً أما امتدادها من جهة الشرق فإنها وصلت إلى سيبيريا، ومن جهة الجنوب الشرقي تجاوزت إقليم خوارزم الذي يقع الآن في جمهورية أوزبكستان ومدينة مرو التي تقع في شمال إيران.

إننا إذ نقول ذلك ونذكر مجالات المسلمين التاريخية لا نسعى بذلك أحياءها بإعادتها كما كانت وإنما لندلل على أن التعاون الثقافي سواء أكان بين مسلمين أم بين مسلمين وغير مسلمين ولكن على مبادئ سليمة هو الذي يثمر العلاقات المفيدة للطرفين.

وقد علق رئيس البرلمان على كلامي فكرر ما كان أشار إليه من قبل وهو أنه توجد قرية تقع على بعد ٣٠ كيلومتراً من العاصمة (أولان أوده) جميع سكانها من المسلمين التتار، ويبلغ عددهم ٢٠٠ أسرة، فقلت له: إنني أشكركم على هذه الإفادة، وأقول: إنكم إذا شجعتموهم كما شجعتم إخواننا الحاضرين من العاملين في الجمعية الإسلامية في العاصمة على بناء مسجد في قريتهم كأن تعطوهم الأرض اللازمة لذلك وتشجعوهم بما ترونه غير ذلك، فإننا نعدكم بأن تساعدهم رابطة العالم الإسلامي على بناء المسجد.

وبذلك يكون في الجمهورية أكثر من مسجد، وهذا مما يقوي العلاقة ما بينكم وبين إخوانكم في الوطن من المسلمين في سائر الأقاليم والجمهوريات داخل جمهورية روسيا الاتحادية.

قلت: بهذه المناسبة أكرر أمامكم ما قلته سابقاً بحضور الشخصين المحترمين اللذين كانا معنا عندما اطلعنا على أرض المسجد ممثلين للمسئولين

في هذه الجمهورية أننا بمجرد أن يبدأ العمل في بناء المسجد وينفق المسلمون كل ما لديهم مما رصدوه لبنائه فإن رابطة العالم ستسهم إسهاماً كبيراً في النفقة اللازمة لإتمامه وسوف تسعى أيضاً عند المتبرعين وأهل الخير في بلادنا إذا لم يكف ما تصرفه من ميزانيتها له.

وسوف يكون هذا المسجد معلماً ظاهراً في العاصمة وشاهداً حياً على التعاون بل والتسامح في علاقاتكم بإخوانكم المسلمين في البلاد وفي خارجها.

وقال لي بعض المفكرين منهم: الناس الآن كلهم يفكرون في الدين الذي يعتنقونه بعد الشيوعية التي حاربت الأديان كلها في السابق، هذا فضلاً عن كونه رمزاً لما كان قائماً من التعاون بين المغول المسلمين وإخوانهم المسلمين من البلدان العربية.

وقلت لهم: لقد أوصينا إخواننا المسلمين عندما اجتمعنا بهم اليوم في مكتبة البلدية بأن يتعاونوا معكم فيما فيه مصلحة الوطن، وأن يعتبروا هذه الجمهورية التي يقيمون فيها ولم يلقوا من القائمين عليها إلاَّ التقدير وحسن المعاملة وطنهم، وأن يسعوا أيضاً عن طريق تقوية أنفسهم من الناحية الثقافية حتى يبرزوا بجهودهم إلى خارج البلاد، ويصبحوا بمثابة السفراء لكم في البلدان العربية.

وقد أظهروا سرورهم لهذا الكلام، كما أن الإخوة المسلمين أبدوا الشكر والتقدير لما قلته وأنه يقري مركزهم في نفوس المسئولين هنا، ويرفع قدرهم عندهم.

وقال الإخوة المسلمون: إن مجرد وصول وفد مسلم من المملكة العربية السعودية التي يتنافس عليه أهل الجمهوريات والأقاليم المختلفة داخل جمهورية روسيا الاتحادية هو مكسب لنا نحن المسلمين، فكيف إذا صحب ذلك كلام جيد

في محله، وحسن تصرف جعلتهم يرسمون في أذهانهم صورة مشرقة للمسلمين في البلدان العربية، لأن اتصالهم بهم قليل.

وقد حصلنا على معلومات عن المدينة بأنها أسست قبل ٣٣٣ سنة وأن عدد سكانها نحو ٤٠٠ ألف ٢٦% منهم بوريات و٧% مسلمون، و٦٧% من الروس وأشباههم من السلافيين الذين صاروا روساً، وسكان الجمهورية مليون ومائة ألف لا يزيد عدد البوريات فيها على ٢٤% مع أنهم أهلها الأصلاء، والبوريات ٧٠% منهم بوذيون و٢٠% منهم نصارى و١٠% منهم.

مواصلة الجولة :

ودعنا هؤلاء المسئولين الكبار الذين ضم مجلسهم مجالس عدة كانوا طلبوها من قبل، ولم يتيسر تلبية الطلب كله، ونزلنا من الدرج المعتاد وإن لم يكن صعباً طويلاً هذه المرة، ونزل معنا إلى الباب الخارجي لتوديعنا عدد منهم.

كما ودعنا الإخوة المسلمين الذين حضروا اللقاء، ولم يبق معنا إلاَّ الأخ بصير نور محمد رئيس الجمعية الإسلامية حتى نائبه البرت غفيف طلب منه ألا يتعب نفسه معنا وواصلنا الجولة في هذه المدينة الغريبة على أبصارنا وبصائرنا.

ميدان الثورة :

فوقفنا في ميدان واسع وإن كان شكله مستطيلاً اسموه (بلوشد ريفا لوشي) ومعناها: ميدان الثورة.

كان أول ما رأيناه في الميدان بجانب موقف سيارتنا امرأة روسية شابة معها حصانان وحصان ثالث صغير من المسمى في مصر بالسبسبي، وهي

تؤجرها للراكبين، ولا أدري أذلك مقتصر على السياح ومن في حكمهم ممن يحبون أن يجولوا في البلدة، أم أنه عام لكل من أراد أن يذهب إلى مكان بعيد، و الظاهر أن الأخير هو الصحيح، لأن عدد السياح الوافدين على هذه الجمهورية قليل.

روسية معها خَيْل تؤجرها للركوب في جانب من ساحة الثورة في أولان أوده

ولصعوبة الحصول على سيارة، وإذا وجدت فإن الطرق عندهم ليست كلها مزفتة، وبعض الأماكن تكون وعرة فيكون الحصان المستأجر وسيلة مناسبة للذهاب إليها وأمثالها.

وقد وضعوا في هذا الميدان مسلة اصطناعية عالية رفعوا فوقها رسم الثورة التي هي الشيوعية على رأس هذه المسلة وهو المنجل والمطرقة، وقد جعلوها على شكل هلال فيه نجمة.

لذلك رأيت الإخوة المسلمين في هذه البلدان الروسية والبلدان التي ابتليت معها بالشيوعية واستقلت عندما انفرط عقد الاتحاد السوفيتي يتجنبون أن يضعوا ذلك فوق الأبنية المحترمة عندهم ديناً كالمساجد والمدارس الإسلامية، وحتى المقابر لا يضعون فوقها الهلال الذي في وسطه نجمة كما يفعل بقية المسلمين في بلاد الأقليات المسلمة لئلا يكون في ذلك تقليد أو مشابهة للشيوعيين، وإنما يقتصرون على إثبات الهلال وحده.

وعلى ذكر الروس الذين رأيت منهم هذه المرأة الشابة معها الخيل قلت للأخ رئيس الجمعية الإسلامية: إن الإحصاءات التي سمعناها في هذه الجمهورية تقول بأن الروس ومن في حكمهم صارت لهم الأكثرية بين السكان، وأن أهل البلاد الأصلاء وهم المغول صاروا أقلية فيها، مع أنني رأيت الأمر مختلفاً في أماكن عدة، ففي محطة القطار كانت الأكثرية الساحقة بين الموجودين فيها هم من المنغول، وفي بعض الأماكن في العاصمة بدأ أن المنغول يؤلفون نسبة كثيرة فيها.

فقال: الواقع أن الروس ومن التحق بهم ممن صاروا مثلهم أو في حكمهم من الأوروبيين وغيرهم لهم الأكثرية العددية بين سكان الجمهورية، ولكن الأمر في القرى والأرياف مختلف عما عليه الحال في العاصمة، فالقرى والأرياف أكثر سكانها من الروس، وأما العاصمة فإنها مختلطة مع أنه قد يخيل لأمثالكم أن المنغول فيها أكثر مع أن العنصرين فيها متساويان تقريباً، وذلك لكون

العنصر المنغولي ظاهر للعيان، متميز عن غيره بالشكل وأحياناً باللون أيضاً، إذ يبدو كما لو كان أكثر من العنصر الروسي فيها.

إن معظم المغول في هذه الجمهورية هم من البوريات وهؤلاء معروفون بغلظ أجسامهم وغلظ الجسم أن يكون ضخماً أو يميل للضخامة حتى من غير سمن كأن تكون العظام ضخمة أو تقاطيع الجسم أو تقاسيم الوجه غليظة في الأصل، ولذلك قل أن يرى المرء نحيفاً فيهم.

ويتميز هؤلاء إلى ذلك بغلظ الوجنتين وارتفاعهما وصغر العينين وإن كان ذلك لا يصل إلى صغر عيون بعض الصينيين، وإلى ضخامة الصدر عند النساء والبطون عند الرجال.

ومع ذلك رأيت بعض النساء اللاتي يشبهن التايلنديات فسارعت أسأل الأخ بصير عما إذا كان يوجد عندهم تايلنديات هنا؟ فأجاب: لا يوجد عندنا تايلنديات ولا تايلنديون وليس هناك ما يستدعي أن يوجدوا هنا، وذلك صحيح من كون تايلند أرقى معيشة، وأكثر عملاً وأحسن اقتصاداً من روسيا.

فقلت: مثل هذه وأشرت إلى فتاة صادف أن رأيتها فقال: هذه منغولية من أهل هذه المنطقة.

وتذكرت أن مثل هذا حصل لي وأنا أتجول في مدينة (أولان باتور) عاصمة جمهورية منغوليا المستقلة التي لا تبعد كثيراً عن هذه المنطقة جهة الجنوب فبادرت دون ترو أو تمعن أقول للأخ (قادر سيراني) رئيس الجمعية الإسلامية في منغوليا: لأي شيء جاءت إليكم هؤلاء التايلنديات؟

فأجاب مندهشاً: لا يوجد لدينا تايلنديات، إن هؤلاء النسوة مغوليات.

وتبين لي بذلك أن طائفة من المنغوليين يشبهون التايلنديين في بعض الأمور ولكنهم ليسوا بالأكثرية.

سوق شعبي:

في هذا الميدان المستطيل الواسع: ميدان الثورة سوق شعبي يدخل إليه منه دخلت فكان ما استرعى انتباهي قبل دخوله أن على مدخله نساء وفتيات ليس معهن من البضائع إلاَّ أكياس من الورق وأحياناً يكون ذلك من اللدائن (البلاستيك) وهي قليلة يبعن هذه الأكياس عند باب السوق للمتسوقين ليضعوا فيها ما يشترونه، وذلك أن أصحاب الحوانيت أو لنقل الباعة، لأن بعض من في السوق إن لم يكونوا أكثرهم ليست لهم حوانيت أي دكاكين، وإنما (بسطات) مرفوعة عن الأرض، والبسطة هي أن يضع البائع بضاعته مبسوطة فوق فراش أو منصة أو نحو ذلك وأكثر من في السوق بضائعهم موضوعة على منصات خشبية متجاورة، ولا تتوافر لديهم الأكياس التي يضعون فيها ما يبيعونه من بضاعة قليلة.

وقد عجبت لذلك إذْ ما يفعل ثمن كيس الورق بالبائع؟ فيما لو كان ثمنه كله مكسباً، فكيف وهو أو هي أي بائعة (الكيس) قد اشترته بغرض الربح، وبيعه لشخص آخر وتأخذ عمولة.

وقد رأيت امرأة ليس معها إلا ثلاثة أكياس من الورق وربما كانت آخر بضاعتها والمرأة على هيئة جيدة بحيث لو صارت بائعة في محل تجاري أو كانت في بلد مزدهر- في الغرب- مثلاً فإنما تكون موظفة في وظيفة تدر عليها دخلاً جيداً.

ورأيت بعض تلك الأكياس عليها أسماء بعض الشركات المشهورة مثل (بيبسي كولا) وهن يبعنها من أجل التكسب بثمنها مع أن ثمن الكيس الواحد ضئيل جداً لأن الأكياس معتادة.

دخلنا إلى السوق فوجدنا فيه أشياء جيدة عديدة من اللحوم والأسماك وهذه ليست مؤقتة لأنه يمكن الحصول عليها في كل الأوقات أو أكثر الأوقات، وفيه أشياء مؤقتة بوقت معين هو وقت الصيف هذا الذي نحن فيه مثل الخضرات وبعض الفاكهة.

فمثلاً يبيعون الكيلو الواحد من لحم البقر وهو الأنفس عندهم من غيره من اللحوم بـ ٣٦ إلى ٣٩ روبل، إذا كان بعظم أما إذا كان بدون عظم فإنهم يبيعونه بـ٤٥ روبلاً للكيلو، والدولار يباع بـ٢٤ روبلاً ونصف، فهذا أقل قليلاً من دولارين، وهو سعر رخيص إلا أن الدخول عندهم متدنية، وكثير من الناس لا يجدون عملاً ينفقون من دخله ما يكفيهم.

قسم السمك في سوق أولان أوده

ويبيعون لحم الدجاج بـ٣٢ روبلاً للكيلو، وذلك يقارب خمسة ريالات سعودية، والدجاج رأيته معروضاً عندهم بكثرة ربما كان ذلك لسهولة تربيته عندهم.

وكذلك رايتهم يبيعون لحم الخنزير بالسعر نفسه الذي يباع به لحم الدجاج، كل ذلك من دون سؤال لأنهم يكتبون الأسعار على اللحم، والأرقام التي يستعملونها هي الأرقام العربية التي نسميها نحن العرب بالأرقام الإفرنجية ويسميها الأوروبيون بالأرقام العربية، فكأنما نحن نريد البرء منها لأننا نستعمل الآن الأرقام الهندية.

وأكثر اللحم عندهم سمين، وذلك واضح السبب وهو وفرة المرعى من أعشاب وحتى أعلاف تنمو على مطر الصيف، أما في الشتاء فإنه لا ينمو في أرضهم شيء، بل تموت كلها حتى لا يجد الإنسان والحيوان أي غذاء إلا مخزونات الصيف.

ورأيت شخصاً يبيع الشحم وحده، وأخبرني إخواني أن بعض الفقراء يشترونه يأدمون به طعامهم لأنه لا يكون لديهم إدام غيره، وطعامهم في الأغلب هو البطاطس وبخاصة في فصل الشتاء وهم يخزنون البطاطس من الصيف للشتاء، وغالباً ما يزرع من كانت له أرض ولو صغيرة بطاطس في الصيف يأكل منها في الصيف والشتاء يساعدهم الجو القارص البرد على عدم فساد البطاطس مثلما رأيت أهل تركستان يخزنون البطيخ الأصفر (الشمام) الذي نسميه الخربز من الصيف إلى الشتاء وحتى إلى حلول الصيف القادم يضعون الثلج الطبيعي فوقه وتحته من دون أن يجعلوه مباشرة ويخزنونه ليأكلوا منه طول السنة، وقد أكلت من بطيخ هناك في بلدة أورومسي عاصمة تركستان الشرقية التي هي الآن في داخل جمهورية الصين، ويسميها الصينيون شنجاك يعني

الأرض المكتسبة، وتعرف عالمياً باسم (سينكيانغ) وكذلك أكلته في إقليم خوارزم الذي هو شديد البرد في الشتاء شديد الحر في الصيف.

كثرة الأسماك :

تقع جمهورية بوريات هذه على الضفة الشرقية لبحيرة (بايكال) التي يدل اسمها على وفرة الخير فهو يعني البحيرة الغنية بالتركية، وغنى هذه البحيرة الذي يعرفه الناس في الوقت الحاضر عدا المياه العذبة الضخمة التي تنطلق عبر نهر انقارا بكثرة الأسماك والمخلوقات البحرية الأخرى ووفرتها وسهولة اصطيادها حتى في الشتاء حيث يتجمد ظهر البحيرة فإن أسفلها يكون مائعاً توجد فيه الأسماك الكثيرة، فيحفر الصيادون حفرة يثقبون فيها الثلج ويصلون إلى الماء فيصطادون منه السمك الوفير بطرق خاصة يعرفونها.

وقد تجلى ذلك في رخص الأسماك ووفرتها، ومن ذلك أنني رأيتهم كتبوا على نوع من السمك بأن ثمن الكيلو الواحد منه (١٢) روبلاً أي نصف دولار، أو ما يعادل ريالين سعوديين.

ورأيت سمكاً مدخناً جاهزاً للأكل والتدخين لبعض أنواع السمك كالقلي أو الشيّ يبيعون الكيلو من هذا السمك المدخن بـ٣٨ روبل أي نحو دولار ونصف.

وقد رأيت الناس في إفريقية وغيرها يدخنون على السمك بوضع أفران كبيرة بدائية على شاطئ البحر يوقدون فيها النار بحطب جزل، وفي أعلاها قضبان حديدية معترضة يضعون عليها السمك الذي يحضره الصيادون من البحر، ويقلبونه من دون أن تمسه النار مساً مباشراً، وإنما ينضج من حرارتها اللافحة ويصطبغ بدخانها لوناً أحمر داكناً، ومن هناك رأيتهم يشحنونه في سيارات كبيرة لتوزيعه على الأسواق.

وهناك شرائح من شرائح السمك المدخن الغالية جداً وهي من سمك السالمون، يدخن عليه في أوروبا وأمريكا، ويشتريه الأغنياء كما يقدم في المطاعم الفاخرة وفي طعام ركاب الدرجة الأولى في الطائرات.

ورأيت هنا نوعاً من السمك ذكروا أنه رديء يبيعون الكيلو بـ١٠ روبلات، أي أقل من نصف دولار.

وليس وجود السمك ووفرته عندهم من وجود بحيرة بايكال فقط،بل هناك أنهار وبحيرات صغيرة عامرة بالسمك وسوف يأتي الكلام علىنهرين يلتقيان في ضاحية من ضواحي مدينة (أولان أوده) هذه وتلك الأنهار تتجمد كلها في الشتاء، ومع ذلك يبقى تحت الجمد ماء يسير في النهر إلاَّ إذا كان النهر ضحلاً في موضع من المواضع فإنه يتجمد كله.

ورأيت شيئاً رخيصاً أيضاً عندهم وهو (الكافيار) الذي هو بيض نوع من السمك يوجد في بحر قزوين، ولذلك اشتهر منه نوعان أولهما نوع واحد اشتهر حسب موضع استخراجه من بحيرة قزوين الذي كان أسلافنا العرب يسمونه (بحر الخزر) إضافة إلى أمة كان يقال لها الخزر قاتلهم المسلمون فقتلوا منهم أناساً، ولكنهم قتلوا من أفاضل التابعين المجاهدين ما يقال: إن عددهم يبلغ أربعين، وهم مدفونون الآن في ضاحية من ضواحي مدينة (دربند) التي تتبع جمهورية داغستان التي تتمتع بالحكم الذاتي داخل جمهورية روسيا الاتحادية، وتقع في منطقة جبال (قبج) التي صار قومنا يسمونها الآن (جبال القوقاز) تقليداً للأجانب ونسياناً منهم لاسمها العربي القديم.

والمراد من ذلك الاسم الذي عرفت به في المراجع التاريخية والبلدانية العربية، وإلا فإنها كانت معروفة قبلهم لأنهم ذهبوا إليها بقصد فتحها، وهداية أهلها إلى الإسلام.

وقد فني الخزر الآن أو ذابوا في غيرهم، فلم تعد منهم بقية معروفة في المنطقة.

والكافيار الذي كان مشهوراً هو الروسي المستخرج من النهر لأن حدود روسيا كانت ولا تزال على شاطئ هذا البحر، والثاني: الإيراني لأن لإيران حدوداً على شاطئ النهر أيضاً.

والكافيار، وبعض العرب يفضلون أن يسموه (البطارخ) لكون البطارخ هو بيض السمك، ولكنه ليس بيض أي سمك من الأسماك، ولكنه بيض نوع من الأسماك خاصة تسمى سمك الكافيار، ولها أسماء محلية عند أهل المنطقة، ذلك الكافيار نوعان أسود وهو الفاخر الغالي الثمن، وأحمر، وهو دون ذلك.

ورأيتهم هنا يبيعون الأسود بـ٥٠ روبلاً للعلبة الواحدة التي تباع في أوروبا بـ٥٠ دولاراً مع أن ثمنها (٥٠) روبلاً يساوي دولارين اثنين.

وقد اشتريت من البائع كل ما عنده من الكافيار، وأخذها أحد المرافقين- ولو وجدت أكثر منه لاشتريته لأنه يصلح للهدية وهو خفيف الحمل، إلا أن المشكلة فيه أنه يحتاج إلى أن يوضع في مكان بارد وإلا فسد هكذا عرفنا عنه، وقد كتبوا عليه ذلك.

أما الفواكه فإنها مستوردة ومنها الموز والتفاح والبرتقال، والعنب يأتي أكثرها من بلاد ما وراء النهر التي أسماها الروس بآسيا الوسطى لأنها تتمتع بفصل صيفي طويل وشتاء أخف ثلجاً وهي غالية.

وكنت أود أن البث طويلاً في هذا السوق ليس من أجل معرفة أسعار ما فيه من الفواكه واللحوم وإنما للإطلاع على تصرفات الناس وطريقة بيعهم وشرائهم غير أن أخانا ومترجمنا مترجم الرحلة في شرق سيبيريا الأخ (أمير

مظفر) رأيته ضاق ببعض الأشياء التي لا يشعر بأن لها أهمية لكونها مألوفة عنده، مع أن المطلوب من أمثاله أن يترجم فقط، ولا يستحسن، أو لا يستحسن السؤال عن بعض الأشياء.

تذكار الحرب العالمية الثانية:

كانت الساعة قد وصلت الرابعة عندما تركنا السوق الشعبي الذي تباع فيه اللحوم والأسماك والخضروات ويمكن أن يقال فيها: إنها الرابعة ظهراً لأن مثل هذه البلاد الشمالية لا تغيب فيها الشمس إلاَّ متأخرة في أيام الصيف وعكس ذلك أيام الشتاء كما هو معروف.

وصلنا إلى نصب مهم عندهم لأنه تذكار للحرب العالمية الثانية الذي كتبوا عليه بأنه ذكرى للشعب السوفيتي الذي تغلب على النازية في تلك الحرب التي بدأت من عام ١٩٤١ حتى عام ١٩٤٥م.

وقد جعلوا فيه دبابة قديمة استعملت أثناء الحرب.

وهذا أمر مألوف عندهم أن يجعلوا في كل مدينة روسية، بل في كل مدينة من المدن التي كانت داخلة في الاتحاد السوفيتي البائد مثل هذا التذكار، لأهمية تلك الحرب التي قيل: إنه قتل فيها من الاتحاد السوفيتي وحده عشرون مليوناً من البشر، وذلك غير المصابين والذين ماتوا بسبب تفشي الأمراض ونقص الأدوية أو بسبب قلة الأغذية في بعض الفترات في بعض الأماكن، كالذين ماتوا في حصار مدينة (لينين قراد) التي هي الآن (بطرس بورغ).

وتذكار حرب أخرى :

الحرب العالمية الثانية كونية أضرت بأعداد هائلة من البشر ضرراً مباشراً أو غير مباشر لكن تذكاراً آخر لحرب أخرى خاصة بالاتحاد السوفيتي سنذهب إليه الآن وهي الحرب الأفغانية.

غادرنا ساحة الثورة الواقعة في وسط المدينة مع شارع عام عليه أبنية جيدة حمر الطلاء، وبعضها طلوا الأفاريز للأبواب والنوافذ باللون الأحمر أما سائر البيت فإنه أبيض.

وقلت للمرافقين: ما أجدر هذه المدينة بأن تكون بيوتها مطلية باللون الأحمر لأن اسمها يدل على الحمرة فهو (أوده الحمراء) لأن (أولان أوده) تعني ذلك كما سبق.

ثم تجاوزنا هذه البيوت الجيدة التي بعضها من أكثر من طوابق إلى بيوت شعبية تقليدية وهي البيوت المنفردة تكون من طابق واحد، وهو الأكثر، وقد تكون من طابقين، وتكون من الخشب الذي يطلى بطلاء أخضر في أكثر الحالات ويكون حول البيت فناء مكشوف ضيق يجعلون سوره من الأعواد المهذبة ومن كسر الخشب المتساوي المهذب.

الزهرة السوداء :

قال القوم: إننا سنذهب للزهرة السوداء، فقلت لهم: إنني أريد أن نذهب إلى تذكار الحرب الخاصة بروسيا وهي حربهم من الأفغان، فقالوا: إنها هي!

لقد أسمى الأهالي هذا المكان بالزهرة السوداء، وذلك من عادتهم التي تقضي أن يجعل مع الميت حين نقله زهرة أو زهوراً فأسماهم الأهالي الزهرة السوداء كناية عن الموت، ولحق الاسم هذا المكان.

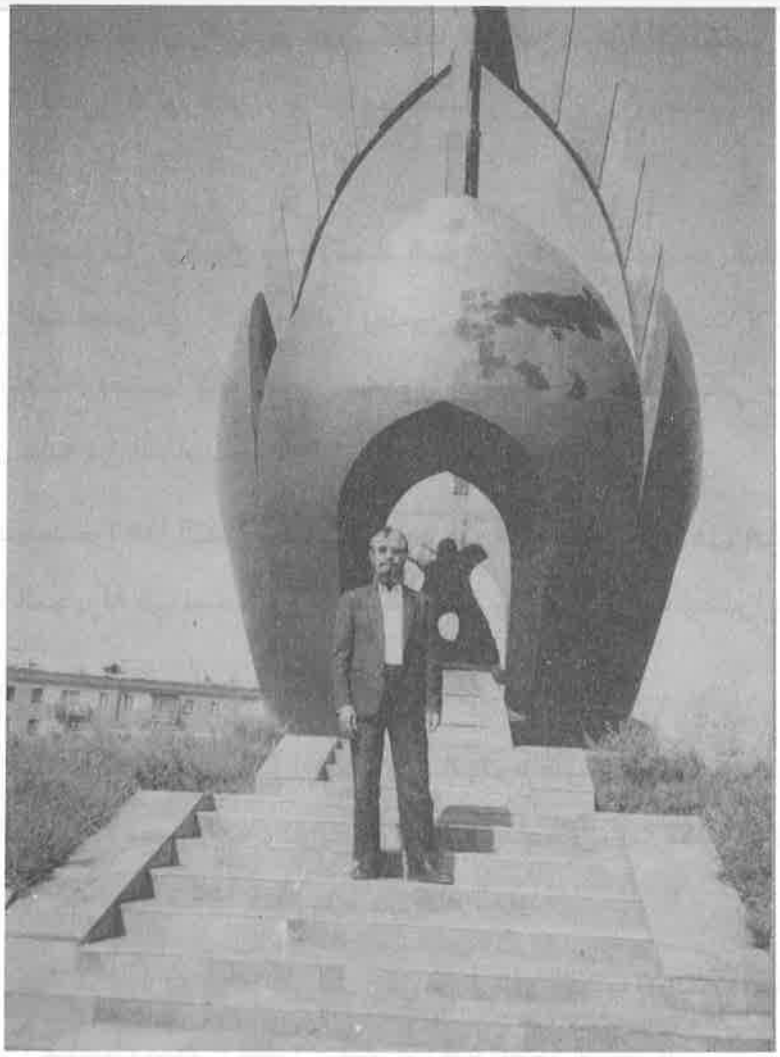

المؤلف في النصب الذي أقامه الروس للذين قتلوا من أهل مدينة أولان أوده في أفغانستان

وهو تذكار لقتلى الاتحاد السوفيتي الذين سقطوا صرعى في أفغانستان وهي حرب في حقيقتها بين المسلمين الذين كان يمثلهم الإخوة المجاهدون الأفغان ومن معهم من المجاهدين المسلمين، وبين الجيش السوفيتي الشيوعي على اعتبار أن أولي الأمر الذين أرسلوه إلى أفغانستان هم من الشيوعيين، بل

هم من عتاة الشيوعيين وكبارهم، وكانت النتيجة نصراً للإسلام والمسلمين وهزيمة للملحدين الشيوعيين، إذْ أذاقهم المسلمون الأمرَّين بتشديد الراء وهما الموت أو الهزيمة.

ورغم ما كان يتشدق به الاتحاد السوفيتي في السابق من تغلبهم على المسلمين المجاهدين فإن الناس كانوا يعلمون بالطائرات التي كانت لا شغل لها إلاَّ نقل الجثث وبعضها كانوا يأتون به دون توابيت لأن القتلى أكثر مما يمكن الحصول عليه من التوابيت.

وقد وضعوا هذا التذكار لقتلى الحرب في أفغانستان من أهل هذه المدينة الصغيرة المجهولة في نصب وسط حديقة جيدة وارفة الظلال، وكتبوا عليه:

ذكرى باقية لقتلى الحرب في أفغانستان.

ثم كتبوا أسماء الذين قتلوا هناك من الجنود باللغة الروسية يكتبون اسم الجندي القتيل وتاريخ ولادته وتاريخ موته في أفغانستان، أما مكان الولادة فإنهم لا يذكرونه لأنه معروف إذ كلهم من أهل هذه المدينة.

وقد جعلوهم ي أربع قوائم على كل ركن من أركان النصب الأربعة قائمة أي بيان بأسماء ١٨٠ شخصاً ومجموع ذلك ٥٩ قتيلاً من هذه المدينة الصغيرة!

وذكروا أن جنديين من أهل المدينة يعتبران من المفقودين لأنه لم يعثر لهما على جثة، ولا يعرف أحد عنهما شيئاً.

وقال أحد الإخوة المرافقين: ربما كان هذان المفقودان قد أسلما وبقيا في أفغانستان، ولا يعرف الجيش الروسي عنهما شيئاً، لأن عدداً من جنوده فعلاً مثل ذلك إذْ لو عرف ذلك لاعتبره هروباً من الجيش يحاكم فاعله وجازاه على فعله.

ولاحظت وجود بعض الزهور على بعض القوائم ذكروا أنها من بعض أهالي القتلى الذين يضعون الزهرة على اسم صاحبه يكتفون بذلك عن وضعها على قبره، إذا كانوا لا يعرفون موضع قبره.

والحديقة التي وضعوا هذا التذكار وسطها حافلة بالأشجار التي لا نعرفها وكلها من ذوات الظل دون الثمر، إلاَّ شجر توت بري فإننا رأيناه مثمراً بثمر في مقدار الحمص مر المذاق، وربما كان أحسن من هذا طعماً إذا أينع، وفي الثمرة نواة كبيرة، ذكر لنا الأخ (بصير) أنه لا يؤكل هنا إلاَّ إذا أضيف إليه السكر، لأنه ليس حلواً وليس فيه غناء، وكنت سمعت أو قرأت شيئاً عن التوت البري في البلدان الباردة، وأنه قد يؤكل عوضاً عن الفاكهة لأن البلاد الشديدة البرودة لا تعيش فيها أشجار الفاكهة، وربما كان ما سمعته عن نوع آخر في مكان آخر.

مدينة الرُّبَى :

خرجنا من (الزهرة السوداء) أو تذكار الذين قتلوا في أفغانستان من المعتدين السوفيت فدخلنا مع أحد الشوارع تحت قوس يشبه قول النصر إلا أن أعلاه مستوٍ كما يكون المربع المعتاد، وهو من الأنابيب الضخمة التي تنقل بخار الماء الحار إلى منازل المدينة للتدفئة في الشتاء وهو موجود في أكثر البلدان الروسية، وبلدان الاتحاد السوفيتي السابق لأنها كلها بلاد باردة ترى الحكومة أن توفير بخار الماء الحار للتدفئة فيها أمر لازم، بل واجب عليها، لأن البقاء في البيت في مثل هذه المدينة بقاء طبيعياً معناه الموت المحقق، لأن درجة البرودة الشديدة تجعل الدم يتجمد ولا يجري في العروق.

وكان الناس يكافحون ذلك في القديم بالألبسة الثقيلة والأغطية الأثقل ولابد أن تكون مع ذلك نار موقدة في المنزل، ويجعلونها تتقد في كل الليل ولا يتركونها إلا إذا كان البيت محصناً عن دخول الهواء البارد ومغلقاً من كل جهة.

أما الآن فإن التدفئة تتم بهذه الطريقة وهي طريقة إرسال بخار الماء الحار بالأنابيب، ترسله الحكومة من محطة عامة لتوليد الماء الحار وترسله إلى البيوت، ولكنها لا تدفن الأنابيب التي تنقله كما تفعل بأنابيب المياة المعتادة،، بل تجعلها بارزة للعيان مرفوعة قليلاً عن الأرض وإن اعترضها شارع رفعوها فوق مستوى الشوارع والمركبات التي تمر معه، وجعلوها على هيئة بوابة من الأنابيب.

وكان الهدف الآن هو الجولة في الأماكن المرتفعة داخل المدينة لأنها ليست مستوية، بل فيها ربى خضر متعددة، مما أعطاها منظراً جيداً، بحيث صعدنا إلى إحدى التلال المتسعة الواقعة في المدينة فأوقفنا السيارة واستجلينا بعض المدينة لأن بعضها محجوب بتلال أخرى، ولكنها كلها جيدة المظهر، ويظهر أن بلدية المدينة أنشط في ملاحظة تنظيفها وتنظيمها من بلديات أكثر المدن الروسية، ماعدا المدن الكبيرة التي يزورها السياح، ففيها مناطق جيدة.

والسيارات في شوارع المدينة كثيرة بالنسبة إلى مستوى وجود السيارات في المدن الروسية.

ضواحي المدينة :

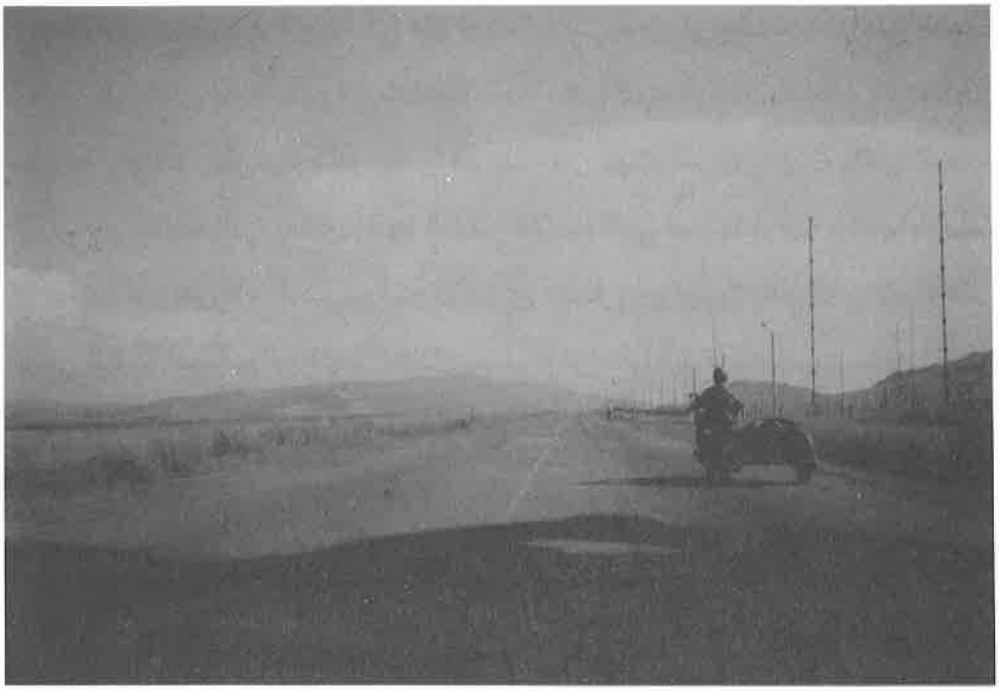

الطريق في ريف أولان أوده

تركنا وسط المدينة بل تركنا جمهرة منازلها وخرجنا إلى ضواحيها، وذلك من أجل رؤية معبد بوذي رئيسي فيها، لأن القوم من أهلها الأصلاء وهم (البوريات المغول) يعتنقون الديانة البوذية، وإن لم تكن أكثر الديانات إتباعاً فيها فإن معتنقيها من أهلها كثر.

وكان أهلها أخبرونا أن الديانة الأكثر إتباعاً في هذه الجمهورية من حيث عدد الذين يتبعونها هي المسيحية تليها البوذية ثم الإسلام.

ولم يكن الأخ (بصير) رئيس الجمعية الإسلامية يعرف المعبد البوذي بالضبط، ولكنه كان يعرف موضعه أو وصف له ذلك، لأنه عرف برغبتي في رؤية معبد من المعابد البوذية في هذه البلاد، لأنني سبق أن رأيت عدداً من المعابد البوذية في بلدان مختلفة ذوات مذاهب متعددة في البوذية، مثل المعابد البوذية في سريلنكا وتايلند ولاوس وكمبوديا، وأهم ذلك من حيث الفروق بين مذاهب المعابد البوذية في التبت التي يعتنق أهلها الديانة اللامية التي أصلها بوذية ولكنها اتخذت فرعاً مختلفاً عن المذاهب البوذية الأخرى فصاروا يؤلهون (الد الاي لاما) التي تعني اللاما الجامع أو الكبير، فكل عالم أو راهب في مذهبهم يسمونه (لاما) والدالاي لاما هو اللاما الكبير الجامع، ويعتقدون فيه أنه زعيم إله لأن روح كبير آلهتهم حلت فيه، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

وقد ذكرت تفصيل الديانة المذكورة والمشاهدات في بلاد التبت في كتاب: (على سقف العالم).

عرس روسي :

خرجنا من المدينة قاصدين ضواحيها التي انقطعت فجأة على ما كان عليه الأمر في المدن الروسية إذْ تنقطع العمارة فجأة من المدينة ويبدأ الريف إلا إذا كانت توجد فيه منشآت قديمة كانت أقيمت قبل الشيوعية.

لأن الحكومات الشيوعية لا تسمح بأن يبني الأهالي لهم بيوتاً منفردة في المدن لأنها هي الجهة الوحيدة المخولة ببناء المساكن، وهي تفعل ذلك ببناء أبنية عالية متعددة الطوابق على هيئة شقق سكنية، توجرها على موظفيها أو على غيرهم من الناس، وتكون بمثابة التمليك، وهي في الغالب شقق صغيرة.

وصلنا إلى غابة ملتفة الأشجار يقابلها ملعب رياضي، ثم رأينا مبنى مشرفاً وحده في الغابة فظنناه على البعد المعبد البوذي ثم تبين عندما قربنا منه أنه كنيسة، وذلك أننا وجدنا في الريف غير بعيد منه جماعة من الروس يحتفلون بزواج لهم، وقد أحضروا سيارة نقل صغيرة نقلوا فيها كراسي وبعض الأشربة والأطعمة الخفيفة ويقولون: إن الزواج عقد في هذه الكنيسة وأنها كنيسة روسية بمعنى أنها أرثوذكسية، وأنهم الآن يحتفلون في هذا المكان الريفي مع الذين حضروا عقد الزواج، وعندهم سيارات من سيارات الركوب يظهر أنهم استأجروها أو استعاروها لهذه المناسبة.

وقد رأيت العروسين شابين وسيمين والعروس بثوب الزفاف الأبيض والزوج ببدلة رسمية جيدة.

وكنت حريصاً على أن أريء القراء الكرام كيفية لباس العروسين فقلت بوساطة المترجم الشيخ (أمير مظفر) قل لهم: إنني أريد أن أريء أصدقائي في بلادنا صورة العروسين فهل يمكن أن أصورهما؟ ففرحوا بذلك وسروا به وكانت النسوة وهن من الشابات المتزينات من أقارب الزوجين أكثر سروراً واندفاعاً، وربما كان بعضهن أو كلهن قد شربن شيئاً إذْ قادوا العروسين وأوقفوهما بجانبي فتحولت إلى جانب الزوج لأنهم كانوا جعلوا الزوجة بجانبي، فانبرت واحدة منهن هي أجملهن وأكثرهن جرأة تلصق بي وتحاول أن تحتضنني لأن هذا بزعمها يكون أفضل للصورة فأوقفت المصور، وأبعدتها عني، ولكنها غافلتني ووقفت خلفي من حيث لم أشعر بها كما في هذه الصورة، وقد طلبت الأخريات التقاط صور معهن فاعتذرت بأن شريط المصورة كاد ينفد، وهذا صحيح، ولكنه ليس السبب لأن معي شريطاً جديداً، أحضرته احتياطاً في السيارة.

العروسان الروسيان مع جماعتهما والمؤلف في ضاحية مدينة أولان أوده

ثم أخذ بعضهن يجذبنني تتزعمهن تلك الجميلة قائلة: لتشرب معنا شيئاً، فقلت لهما: والبقية يسمعون: إنني مسلم، وديني الإسلامي يحرم شرب الخمر، ولذلك لا أستطيع أن أشرب.

فقالت إحداهن: لقد سمعنا أن القرآن يسمح بشرب الخمر للغريب، وأنتم غرباء، وهنا احتد مرافقنا ومترجمنا الذي كان يترجم كلامها الشيخ (أمير مظفر) وقال لهم: نحن لسنا غرباء، هذه بلادنا وأنتم الغرباء الذين أتيتم إليها وسكنتم فيها.

ثم قال: نحن أسلمنا قبل أن تنتصروا كنتم عندما دخل أجدادنا في الإسلام همجاً لا تدينون بدين.

وهنا تكدر صفوهم، وأبعدت عنهم وهو يخلصهم بلغتهم ثم سحبناه منهم بقوة.

لقد كان اندفاعهم نحونا عفوياً من كوننا غرباء، وهم في حالة فرح بالزواج، وكان يمكن أن ينتهي بالمجاملة وبإسماعهم شيئاً عن الإسلام، وقد يبقى في نفوسهم، ولا يمحوه الغضب.

المعبد البوذي :

تركنا النصارى الروس وكنيستهم التي لم ندخلها وفرحتهم بالغرباء التي تكدرت وواصلنا سيرنا، فلم نسر طويلاً حتى وصلنا المعبد البوذي المنشود.

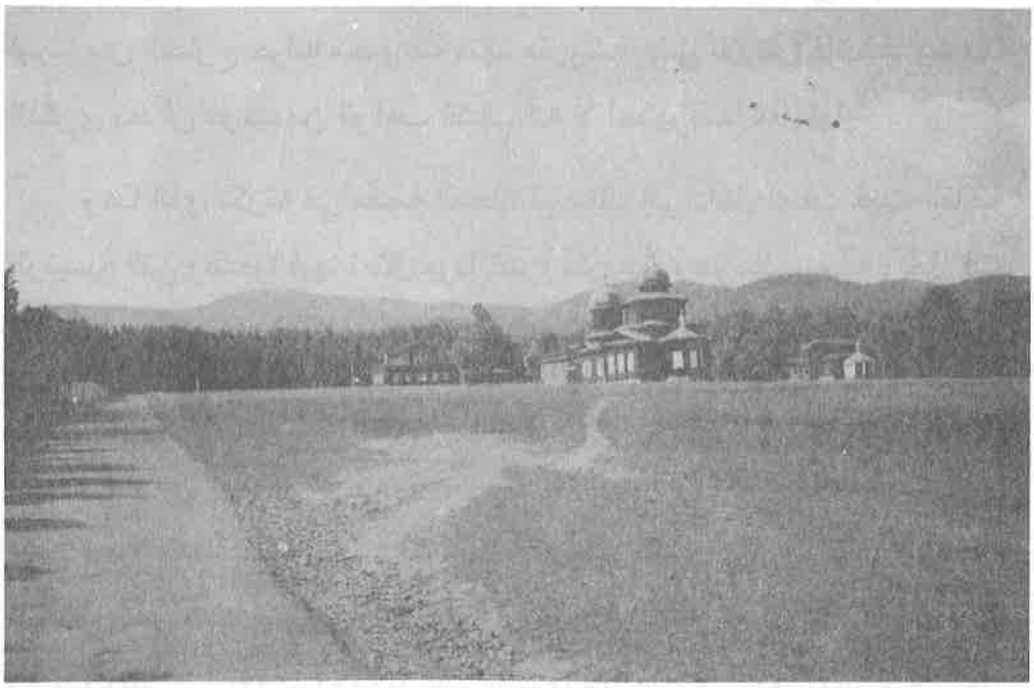

المعبد البوذي في ضواحي أولان أوده

كان من أظهر وأكثر ما فيه تماثيل بوذا فهو بهذا لا يشذ عن القاعدة العامة في المعابد البوذية، بأن تكون فيه آلاف من تماثيل بوذا، وهذا فيه دون ذلك ولكنها كثيرة كثرة لافتة للنظر.

ورأينا راهباً شاباً واقفاً عند باب المعبد، ففتحه لنا وكان بابه موصداً دون أن يغلق، فكان أول ما أرانا فيه تمثالاً لبوذا فوق ما يشبه المنصة على هيئة المخروط، وهم يطوفون حول هذا التمثال يتعبدون بذلك.

وفي هذا النصب ثقب يضع الطائفون والزائرون فيه نقوداً بمثابة التبرع، وعرض علينا أحد المرافقين أن نضع فيه شيئاً من النقود، فامتنعنا من ذلك، وقلت: إن هذا إقرار منا بوجوده على هذه الصفة.

وأكثر تلك النقود معدنية من ذوات القيمة المتدنية حتى إنني رأيت تمثالاً لبوذا من الخارج حوله مجموعة منها متروكة على الأرض فأخذها بعضنا للذكرى بعد أن عرف من الراهب الشاب أنه لا أحد يريدها لتفاهتها.

وهذا الذي ذكرته في مقدمة المعبد، ثم دخلنا إلى داخل المعبد حيث القاعة الرئيسية التي وضعوا فيها تمثال بوذا كبيراً متربعاً، وهو على هيئة رجل في الأربعين من عمره لم تنل منه السنون، وتتجلى فيه التقاسيم الهندية وتعدم التقاسيم المغولية.

وهذه هي عادتهم في رسم صورته الكبيرة التي تتصدر المعبد، بل في سائر صوره مما يؤكد ما عرف عنه بأنه أمير هندي رأى ما عليه المجتمع الهندي الذي كانت تسود فيه الديانة الهندوكية بأبشع صور التمييز العرقي والتفرقة بين بني الإنسان وما يرتكب باسمها من آثام في حق الإنسانية فأنكر

ذلك على الهنود، ودعا إلى مذهبه، وقد تنسك وصار له أتباع كثر في الهند ثم ترقى إلى رتبة القداسة عندهم وبذلك عبدوه، ثم تقلص مذهبه في الهند وازدهر فيما كان عنها شرقاً مثل دول الهند الصينية وهي لاوس وكمبوديا وفيتنام وبورما، فضلاً عن سيرلنكا وطوائف ضخمة في الصين واليابان.

مع الراهب البوذي عند معبدهم في ضاحية أولان أوده

ثم انتقلنا إلى مبنى آخر أو لنقل إنه معبد آخر وقد اعتنوا به حتى إنهم وضعوا على مدخله تمثال الأسدين الشائعين في المعابد البوذية في الهند وغيرها، وكذلك في بعض المعابد الصينية، وهما أسدان محرفان أي مشوهان بحيث يتلاءم شكلهما مع ما في بعض أساطير القوم عند أصل نحتهما.

وعند هذا المعبد امرأتان بوذيتان جاءتا للعبادة كما قالتا، فطلبت من الأخ المترجم أن يرينا كيف يتعبدان فانتصبتا قائمتين أمام تمثال بوذا الكبير الموجود في المعبد ثم انقضت أحدهما بسرعة ساجدة على الأرض دون تمهل أو ركوع وليس على صفة السجود عندنا وإنما صارت كالمنقلبة على وجهها ثم رفعت رأسها بسرعة وانتصبت قائمة مرة أخرى ثم كررت السجود بإلقاء الجسم كله وجهه إلى الأرض وهو ممدود عليها وهي تضرب فخذيها عند السجود أو لنقل عند الانبطاح حتى سمع لذلك صوت، وكانت معها سبحة من عدة مسبح موجودة في المعبد، هي طويلة رأيت كهانهم ورهبانهم في معابد بوذية يعلقونها في رقابهم.

وكنت رأيت مثل هذه العبادة في معابد بوذية في مدينة شيننغ عاصمة مقاطعة تشنغهاي في الشمال الغربي من الهند وذكرت تفصيل ذلك في كتاب (فوق سقف الصين) وهو غير كتاب (على سقف العالم).

ثم فعلت صاحبتها مثل فعلها، وهذه ليست العبادة الرئيسية في الديانة البوذية التقليدية ولكنها مذهب من المذاهب المحدثة فيها.

قلت للراهب البوذي: هل يجوز للراهب مثلك أن يتزوج؟ فقال: نعم، أنا يجوز لي ذلك، لأنني لم أعاهد هذا المعبد عندما دخلته على ألا أتزوج، فإذا عاهد الراهب عند دخوله المعبد على أن لا يتزوج لم يجز له الزواج.

وسألته عن بعض الأشياء، فأجاب بأن المعبد ليس فيه خمر ولا دخان ولا ينبغي لنا تعاطي ذلك فيه.

وقلت له: إن بعض البوذيين في تايلند رأيتهم يترهبون أي يبقون في المعبد مدة من الزمن يغادرون بعدها، فقال: هذا لغير الرهبان المتفرغين للعمل

وأردت أن أسأله عن مورد رزقه، لأنني كنت رأيت رهبان البوذيين في عدة بلدان ومنها بورما وفيتنام يخرجون إلى الشوارع معهم صحاف من الخشب- جمع صحفة وهي الإناء الخشبي- يسألون الناس أن يضعوا لهم فيها أرزاً يقتاتون به، ورأيت بعضهم قد حصل شيئاً من ذلك في إنائه لا يكفيه فصار يطرق البيوت أو يمر بهدوء أمامها حتى يشاهده أهلها، فيتصدقون عليه بالأرز المطبوخ، ولا أدري أذلك جزء من تقاليد لهم في المذهب أم أن الدافع إليه هو الحاجة، إلا أن الحال في بلد مثل بورما ذي اقتصادي منحدر رديء جداً لا يبعد أن يكون الدافع للرهبان إلى ذلك هو الحاجة إلى الطعام.

كنت أريد أن أسأل الراهب عن هذا وأمثاله مما يتعلق به، ولكن إخوتي المرافقين رايتهم يريدون أن نبعد عنهم، ربما كان ذلك من باب التقزز من اعتقادهم وفعلهم فيه، ولكنني أردت أن أنتهز هذه الفرصة التي لا تتكرر إلاَّ في بلاد بوذية أخرى.

نهر سلينقا:

نهر سلينقا: نهر كبير بل يكاد يعتبر هو نهر المدينة رغم كونها سميت باسم النهر الآخر الذي يمر بها أيضاً وهو نهر (أوده)، وذلك أن أصل المدينة القديم كان أقيم على نهر أوده رغم كونه أصغر من نهر (سلينقا).

دخلنا إلى حيٍّ في طرف المدينة أشبه بالقرية المنفردة بيوته من الخشب غير الجيد، ومع ذلك رأينا في الشارع العام الذي يمر به سيارات كبيرة.

ثم خرجنا من المدينة مع ضاحية جيدة سلكنا أطول شارع في المدينة كما قال الأخ بصير رئيس الجمعية الإسلامية الذي يسوق سيارته بنفسه.

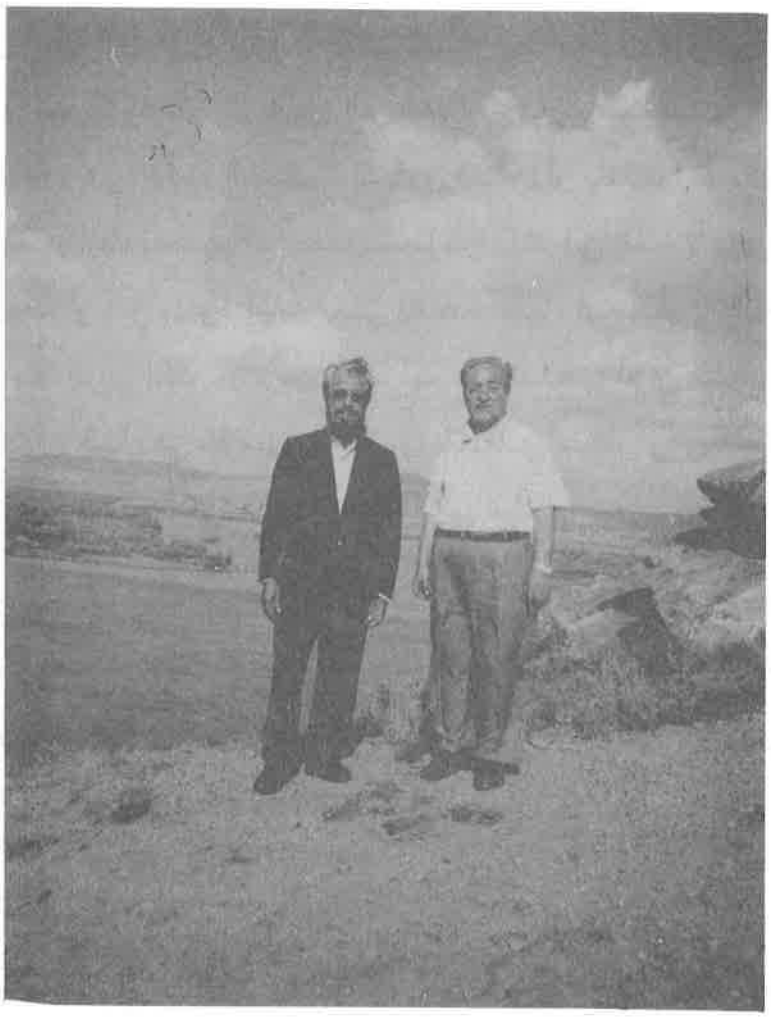

مع الأستاذ رحمة الله في المرتفع المطل على نهر سلينقا في ريف أولان أوده

وقد وصل هذا الشارع الطويل إلى نهر سلينقا فركب فوق جسر واسع قد بني عليه، وقد خصصوا فيه جانبين من الجسر محجوزين للمشاة.

وسلكنا بعد الخروج من المدينة طريقاً جيداً، ذكر لنا الأخ بصير أنه يذهب إلى مدينة إيركوتسك التي كنا فيها أمس، وأنه جيد هكذا إلى تلك المدينة، وتبعد (ايركوتسك) ٤٥٠ كيلو متراً.

ثم وصلنا إلى الريف الخاص الذي تجلل الأرض فيه أعشاب قصيرة من أعشاب المراعي، وتوجد فيه بيوت منفردة من الخشب السيئ المنظر، لأن العوامل الجوية قد أفسدته ولم يتعهدوه بالطلاء، وكلها ذات سقوف من الصفيح المتغير، وهي بلا شك من بيوت الزراع الذين يأتون إليها في الصيف، لأنه لا تكون أية زراعة في الشتاء لقسوة البرد، وربما تذكر ما كان مر بك من هذا الكتاب عند الكلام على البدء ببناء المسجد، وبأنهم إذا لم يبدءوا به قبل استحكام البرد لم يستطيعوا ذلك إلا في الربيع لأن الأسمنت يتجمد في الشتاء فلا يمكن أن يجري في الأماكن التي يصب فيها، بل إنه لا ينصب أبداً كما ذكروه لنا.

ويكفي أن يتصور المرء أن هذه الجمهورية الروسية المنغولية تقع إلى الشمال من جمهورية منغوليا التي عاصمتها (أولان باتور) وكان تسمى في وقت من الأوقات منغوليا الشعبية.

وكنت رأيت بل عانيت أنا وزميلاي في الرحلة إلى منغوليا وهما الأستاذ محمد محمود حافظ والأستاذ رحمة الله بن عناية الله الذي يرافقنا الآن من شدة البرد إلى درجة أننا كنا في اليوم الثاني عشر من شهر مايو، والمفروض أن البرد قد خف فيه وهو قد خف بالفعل في سيبيريا آنذاك كنا في غرفنا في الفندق الذي فيه تدفئة كافية لهم، وقد لبس الواحد منا كل ما لديه من ألبسة ثقيلة، وتغطى بجميع الأغطية الصوفية الموجودة في الغرفة، وما ذلك هو ينتفض من البرد.

وكانت زيارتنا تلك في عام ١٤١٢هـ الموافق لعام ١٩٩٢ميلادية.

وتحف بهذا الطريق من أحد جانبيه أشجار خضر مغروسة ولكنها ليست شاملة له مع أن غرسها ونموها لا يحتاج إلى جهد، لأنها تشرب من أمطار الصيف كما تشرب عروقها مما ينزل عليها من ثلج الشتاء.

التشويش على الإذاعات :

سرنا مع الطريق الريفي وتركنا طريقاً يتفرع منه جهة اليمين ذكر الأخ بصير أنه يذهب إلى منغوليا، وكانت دائرة في فلك النفوذ الروسي في الماضي ولكنها استقلت فعلياً بعد سقوط الشيوعية، وإن كانت مستقلة اسمياً قبل ذلك.

ورأينا على الطريق أعمدة عديدة قائمة بينها هوائيات كثيرة نوه بها السائق الأخ بصير، وقال: هذه المحطات كانت تستعمل إبان الشيوعية للتشويش على محطات الإذاعة التي تبث من البلدان الأخرى باتجاه الاتحاد السوفيتي واعتبرها الشيوعيون إذاعات معادية فكانوا يشوشون على تلك الإذاعات بهذه المحطات بحيث لا يستطاع التقاط أصواتها من فرط التشويش.

قال: والآن لا شيء من ذلك، وإنما بعضها يستعمل لأغراض الإذاعة المحلية، وبعضها توقف عن العمل.

ومررنا بمقبرة منغولية قال الأخ بصير: كان المنغول يتركون موتاهم في البرية لتأكلها الطيور، أما الآن فإنهم بدءوا بإتخاذ المقابر ودفن موتاهم فيها.

وعادت بي الذاكرة إلى سياحة كنت قمت بها خارج مدينة أولان باتور عاصمة منغوليا فرأينا في الريف البعيد الخالي من العمارة بل البعيد عنا جداً مقابر قال لنا الإخوة المرافقون من أهل منغوليا: إنها مقابر للمغول، وأنهم استوحوا الدفن بالقبور من المسلمين، وكانوا قبل ذلك يتركون موتاهم للطيور الجارحة تأكلها.

قالوا: ولكنهم يبعدون المقبرة عنهم لأنهم يخافون من روح الميت.

أنصار السمنية :

الديانة السمنية، ديانة كانت مشهورة في القديم حتى كانت قبل الإسلام بزمن موجودة في العراق وفي إيران قبل أن تنتشر فيها الديانة الزرادشتية

المجوسية، وذلك قبل البعثة المحمدية بقرون، وكنت أظن أنها قد محيت من الوجود، ولكن تبين أنه توجد في هذه الجمهورية من جمهورية روسيا الاتحادية النائية طائفة من الناس لا تزال تتبعها وتسمى بالروسية (شمانيزم) وذكر الأخ بصير أن الديانة السمنية قديمة في البورات المغول، وربما تبلغ نسبة الذين يؤمنون بها منهم في الوقت الحاضر ١٠% أو ١٢%.

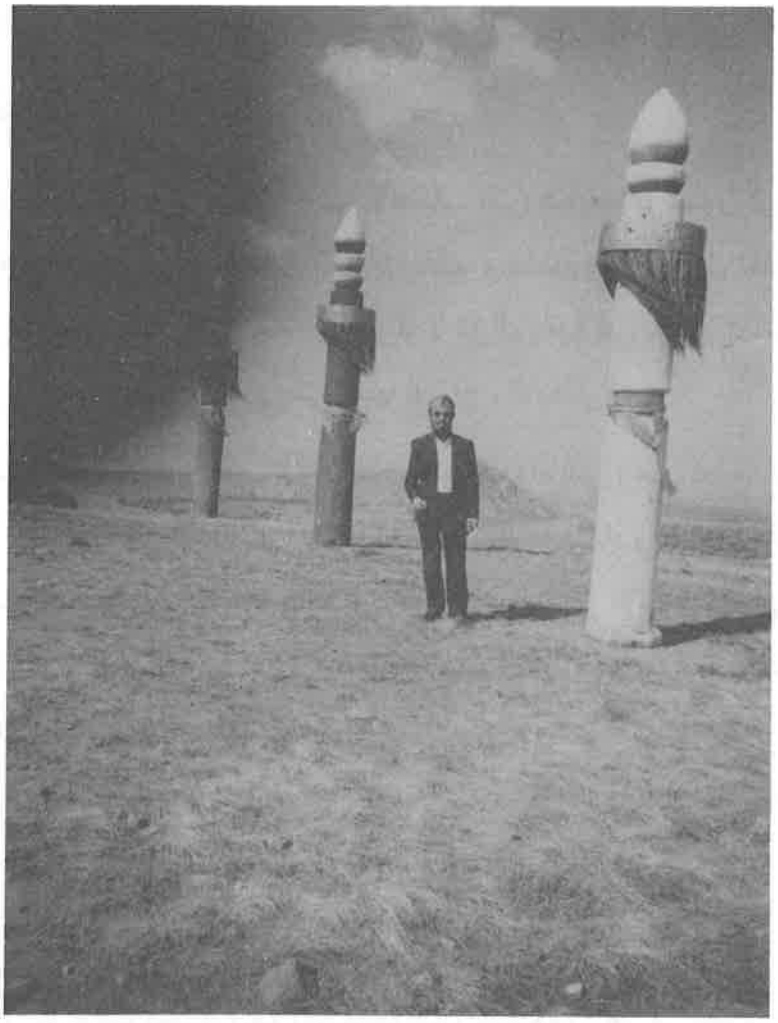

الأعواد التي نصبها السمنيون على ظهر جبل في ضاحية أولان أوه البعيدة

صعد الأخ بصير بسيارته إلى تلة عالية من أجل أن نشرف منها على ما حولها ونلتقط صورة عامة للمنطقة من هذا الارتفاع، وإذا بي أرى آثار الديانة السمنية، في هذا المكان المرتفع أنصاباً كالأقلام المبرية الضخمة، وبجانبها خرق وحبال ممدودة فيما بينها ذكروا أن السمنية يعتقدون أن روح الله موجودة في جبل مجاور معروف لهم، وأنهم إذا وضعوا هذه الأشياء حضرت إلى هذا المكان.

وهذا مذهب ضالّ آخر تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

ذات أنواط:

رأيتهم ربطوا خرقاً وحبالاً قرب الأنصاب التي عملوها يزعمون أن روح الله الموجودة في الجبل المجاور تأتي إذا رأت ذلك، وجدتهم يفعلون مثل ذلك بأشجار قريبة من المكان، وذلك بأنهم يربطون خرقاً لا تزال باقية في بعض الأشجار، ولا أدري أيزيلونها بعد مدة أم تبقى حتى تبليها الرياح والأمطار.

ولم يقتصر الأمر على هذا الحد، وإنما تعداه إلى رمي قطع من النقود المعدنية الصغيرة في المكان ورأينا بقايا منها متفرقة فيها، وأخذناها للذكرى مع أن بعضها أصابها المطر والصدأ وهي نقود معدنية ذكر الإخوة أنها لم تعد ذات قيمة، ولذلك لا يبحث عنها الناس، مع العلم بأن الذين رموها هنا يعتقدون بأن ذلك ينفعهم مثلما رأيناهم فعلوا عند المعبد البوذي، وعندما رأيت هذه الأشجار التي عليها الخرق التي ربطوها بها ذكرت الحديث الذي ورد أن الصحابة قالوا: مررنا بقوم عندهم شجرة تسمى (ذات أنواط)...

فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط.

ومن خرافاتهم أيضاً- وهم (السمنية) أننا رأينا حجراً هو في نظرنا معتاداً قد أداروا حوله صفان من الحصا الصغار ورشوا عليه ما يشبه الجص والأسمنت الأبيض

وهم يطوفون حوله فيما ذكره الأخ بصير لأنه يعرفهم ويعرف المنطقة، وإلا فإننا عندما رأيناه لم يكن عنده منهم أحد، وقلنا: الحمد لله على نعمة العقل والدين.

والسمنية ديانة معروفة قديماً ذكرها طائفة من المؤرخين والمتكلمين على الديانات من علمائنا الأوائل.

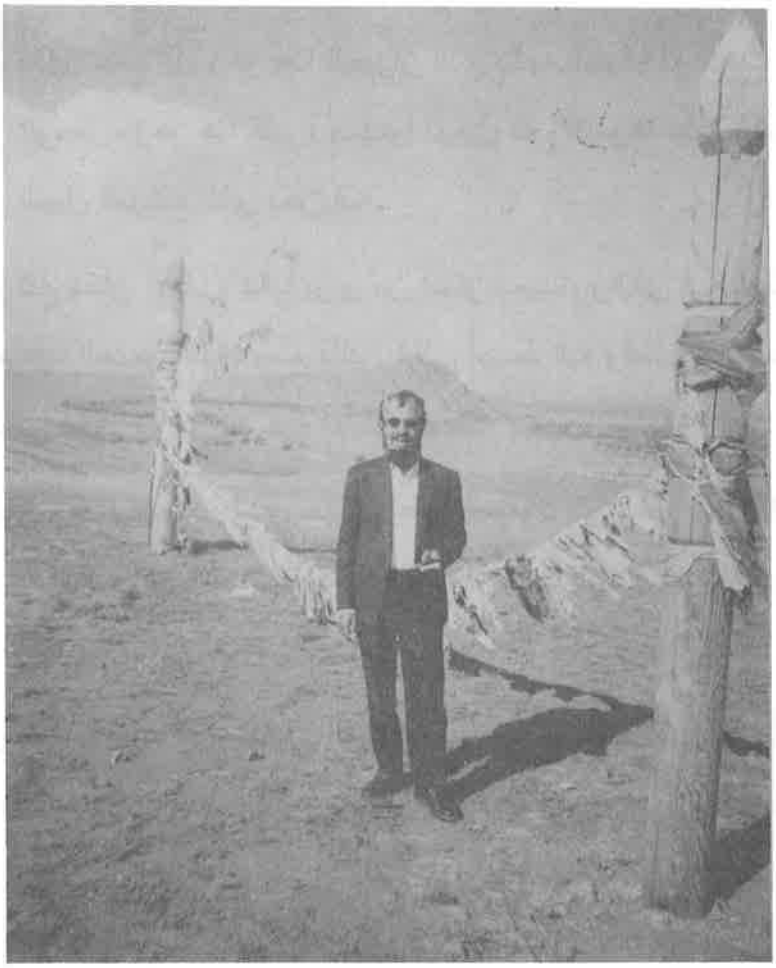

المؤلف عند انصاب وخرق وضعها أتباع الديانة السمنية على ظهر جبل غير بعيد من أولان أوده

وهي مأخوذة من (سِمَن) وهو لقب بوذا معبود البوذيين، و أصل معناها باللغة السنسكريتية: الذي يروض نفسه بالمجاهدة.

وعلى هذا هي مذهب من مذاهب البوذية القديمة.

مرتفع الأيايل :

والأيايل: جمع أيِّل وهو هذا الحيوان الذي يشبه الظباء لو كانت كبيرة أو يشبه بقر الوحش، وهو هنا كثير، صنعوا تماثيل له وأقاموها على رأس هضبة من ظهر الجبل المرتفع الذي نحن فيه.

ويرتفع مكان الأيايل عالياً يرى من أماكن بعيدة، والذي فيه تماثيل الأيِّل أملس يصعب الصعود إليه، ومع ذلك رايتني أصعد إليه وأطلب من أحد الإخوة أن يلتقط لي صورة وأنا عند هذه الأيايل الممثلة هنا.

وليس ذلك وحده هو الذي حملني على الصعود إلى رأس الجبل الذي عليه الأيايل وإنما ذلك لاستجلاء المنطقة منه لأنه مرتفع مشرف على ما حوله، ومن ذلك نهر (سلنيقا).

ووجدنا المزيد من النقود المرمية في أرض هذه المنطقة التي يعتقد السمنية فيها مزية خاصة، وذكروا أنهم يزعمون أنهم برمي النقود يتخلصون من البلاء ومن المرض، ولذلك لا يأخذونها، ولا يأخذها غيرهم خوفاً من أن يصيبهم ذلك إذا أخذوها.

مع الأستاذ رحمة الله بن عناية الله أسفل الجبل
الذي فيه تمثال الأيايل قرب مدينة أولان أوده

وسألت الأخ بصير نور محمد عن اسم الأيّل هذا بالروسية فقال: (ألين)، ويبعد هذا المكان أحد عشر كيلومتراً عن أقرب طرف من المدينة إليه.

وبعد أن استجلينا المكان والمنطقة وذلك في جو معتدل لا حر فيه ولا قر انحدرنا من هذا المكان الجبلي العالي ونزلنا مع خط جيد ما لبث أن ركب ظهر جسر جيد أيضاً على نهر سلينقا.

ونوه الأخ بصير بأن نهر سلنيقا هذا رغم سعته وكثرة مياهه يتجمد في الشتاء، وهذا أمر معروف من شدة البرد في الشتاء في هذه المنطقة من شرق سيبيريا.

ومررنا بمصانع قرب العاصمة بعضها لا يزال يعمل، مع أن معظم المصانع لا تعمل الآن، لعدم وجود رؤوس الأموال اللازمة لتشغيلها عند القائمين عليها، وعدم سهولة تصريف ما تصنعه.

ساحة لوبقي :

وقف الأخ الذي هو سائقنا ودليلنا في هذه الجولة (بصير نور محمد) في مكان مرتفع أيضاً ولكنه أقل ارتفاعاً من الأول، وأقرب إلى مدينة (أولان أوده) منه ويسمى (بلوشد لوبغي) وقد سبق أن قلنا: إن معنى بلوشد بالروسية هو ساحة.

وجدنا رجلاً وامرأة ذكر الأخ بصير أنهما زوجان جاءا إلينا وسألوه عنا فقال: إنهم من المملكة العربية السعودية، وهذا غير العادة التي رأيناها عند الروس، وهو عدم السؤال عن الأجانب، بل عدم الرغبة في الحصول على المعلومات التي لا تعنيهم مباشرة.

ملتقى النهرين :

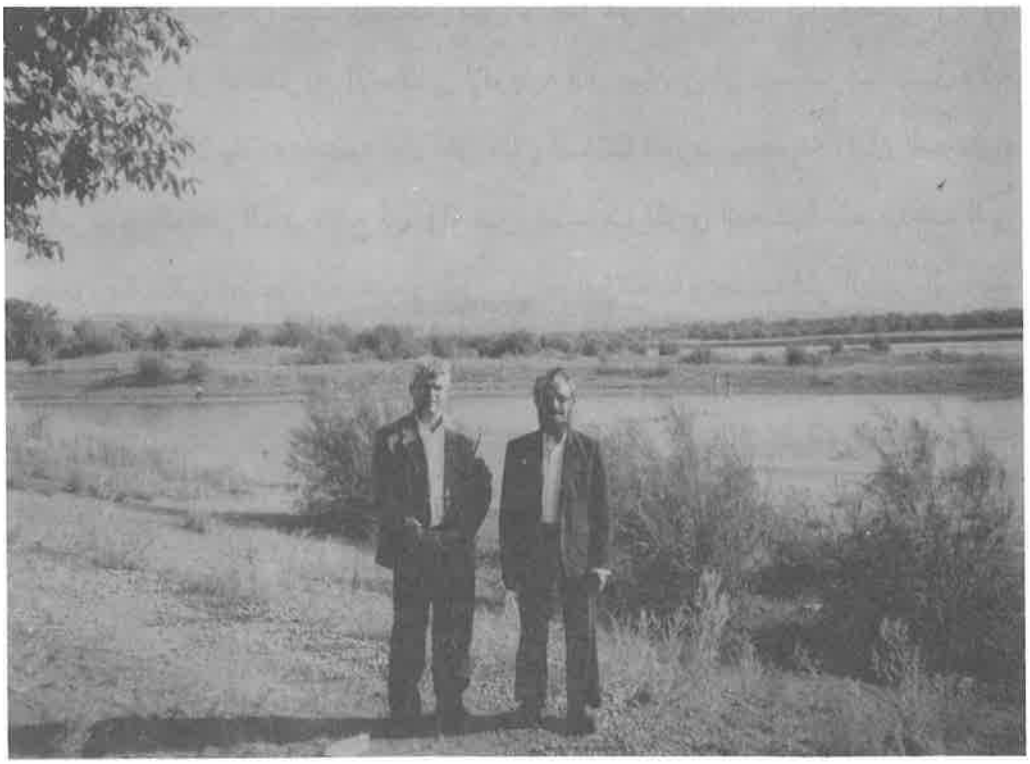

مع بصير على قرب إلتقاء نهري سيلينفا
وأوده خارج مدينة أولان أوده

كنت حريصاً منذ أن وصلت مدينة (أولان أوده) هذه على أن أرى ملتقى نهريها وهما (أوده) الذي سميت به و(سلينقا) الذي هو أكبر منه، وذلك لكوني رأيت ملتقى أنهار عديدة في العالم كان أولها ملتقى الرافدين وهما نهرا دجلة والفرات، وذلك في وقت مبكر من عصر الرحلات، بل ربما كان أقدمها لأنه كان في عام ١٣٧٩هـ- ١٩٥٩م، أي منذ إحدى وأربعين سنة بالتاريخ الهجري، وهما يلتقيان قرب بلدة العمارة بين بغداد والبصرة.

ثم تلا ذلك بعد زمن رؤية ملتقى النيلين الأبيض والأزرق قرب مدينة الخرطوم في السودان حيث يصبحان نهراً واحداً هو نهر النيل، نيل مصر، ولا بد لنا نحن الذين قرأنا التاريخ الإسلامي لإفريقية الغربية من أن نصف هذا النيل بأنه (نيل مصر) لئلا يشتبه بتسمية نيل آخر كان أسلافنا العرب يسمونه (نيل السودان) وهو نهر النيجر الذي تنبع أصوله من غينيا كونكري المسلمة، ثم يذهب إلى جمهورية مالي فجمهورية النيجر ثم يمر بفولتا العليا ويصب في البحر المحيط الأعظم، حسبما كان يعبر عنه أسلافنا القدماء الذين يريدون بذلك المحيط الأطلسي.

وقد أشبعت القول في التاريخ الإسلامي بمنطقة غرب إفريقية وبخاصة تاريخ سلطنة مالي التي صارت تسمى بعد ذلك بسلطنة السودان ثم بسلطنة التكرور في كتاب (سطور من المنظور والمأثور عن بلاد التكرور) وهو كتاب مطبوع.

ثم توالى إطلاعي على ملتقى أنهر عديدة في بلاد مختلفة الموقع بل متباعدة المواقع مثل الصين والبرازيل على بعدما بينهما من المسافة وفي الأشياء الأخرى.

فقد رأيت ملتقى نهرين عظيمين بالقرب من مدينة كانتون التي تعرف عالمياً بهذا الاسم، ولكن الصينيين يسمونها في الوقت الحاضر (قوانقشو) وعندما يجتمعان تقع عليهما المدينة المذكورة ويصبح لهما اسم واحد هو نهر اللؤلؤ، والمدينة منهما على ميناء عظيم يظنه من لا يعرفه ميناء بحرياً على بحر خِضَم.

ملتقى نهري سيلينقا وأوده، خارج مدينة أولان أوده

أما البرازيل فقد شهدت فيها إلتقاء النهر الأسود الذي يسمى نهر الأمازون بنهر سلمونس في مكان غير بعيد من مدينة ماناوس عاصمة ولاية الأمازون في المنطقة الاستوائية من البرازيل.

ولالتقائهما صفة خاصة تتميز به عن التقاء كثير من الأنهار، ذلك بأن مياه النهر الأسود يغلب عليها اللون البني وهو الأسود الخفيف السواد، وماء نهر (سلمونس) معتادة، فإذا التقيا ظلا فترة قبل أن تمتزج مياهما امتزاجاً كاملاً، وهما يريان كما يرى الحليب والشاي إذا التقيا في الفنجان قبل امتزاجهما.

وبعد امتزاجهما يذوب نهر سلمونس رغم ضخامته في النهر الأسود الذي كان يسمى نهر الأمازون ويصبحان نهراً واحداً ضخماً ترفده أنهار عديدة، واسمه (نهر الأمازون) أكبر أنهار العالم أو هو شيخ الأنهار كلها دون منازع.

لقد ذكرت لون النهر الأسود في الأمازون والنهر الآخر حينما وقفنا على رصيف يطل على موضع التقاء هذين النهرين (أوده) و(سلينقا) فقال لي الأخ بصير نور محمد: انظر إلى الفرق بين ماء النهرين بإمعان وسوف ترى أن مياه نهر أوده حمراء ومياه نهر سلينقا بيضاء.

قال: ولهذه السبب سمي نهر (أوده) بالأحمر أو الحمراء، لأنهم يؤنثونه، وسميت المدينة باسمه (أوده الحمراء).

لم نكن في قارب أو سفينة صغيرة بحيث نكون وسط مياه هذين النهرين عند التقائهما كما كنت فعلت في البرازيل، وإنما وقف بنا الأخ بصير على رصيف عالٍ على شاطئ النهر من تلة صغيرة فصرنا نرى النهرين يجريان معاً، ثم يلتقيان في هذا المكان.

وينبغي أن يتذكر المرء هنا أن هذه المياه الثرة للنهرين كليهما تتجمد في الشتاء حتى يصبح النهر صالحاً لأن تسير فوقه السيارت.

وجميع هذه المياه بعد اتحادها تذهب وهي على هيئة نهر كبير لتصب في بحيرة بايكال التي لا تحتاج إليها لأنهاهي ينبغ منها نهز ضخم هو (انقارا) الذي سبق ذكره، وتبعد بحيرة بايكال ١٢٠ كيلومتراً عن مدينة (أولان أوده).

ثم عدنا إلى فندقنا فندق القصة أو فندق القصر كما فسروها لنا واختلفوا في تفسير اسمه، وذلك مع شوارع داخلية من شوارع المدينة اطلعنا فيها على أحياء شعبية داخل المدينة فوجدناها أحسن من كثير من المدن الرئيسية في روسيا من حيث العناية بالزفلتة والنظافة والأرصفة وإن كانت أقل من بلادنا والبلدان المتقدمة في الإدارة بكثير.

وكانت العودة إلى الفندق في الثامنة إلاَّ ربعاً وما زالت الشمس حية.

وقد حضر إلينا في الفندق أربعة من الإخوة من أعضاء الجمعية الإسلامية الرئيسين ومنهم (البرت غفيف) نائب رئيس الجمعية الإسلامية، فأعطيناهم المبلغ الذي أعلناه مساعدة لهم على البدء ببناء المسجد وهو أربعة آلاف دولار، وهي مبلغ قليل بالنسبة إلينا ولكنه كثير بالنسبة إليهم، لقلة الدخول، وسوء الحال الاقتصادية، وأفهمناهم بما أفهمناهم به من قبل، من أن هذا المبلغ ما هو إلا بداية رمزية للبدء في بناء المسجد، وإلا فإن رابطة العالم الإسلامي سوف ترسل إليهم مساعدة مجزية إذا وردنا منهم ما يفيد بأن العمل قد بدأ بالفعل في المسجد وأيدت ذلك الإدارة الدينية للأقسام الآسيوية من روسيا التي يراسها الشيخ (نفيع الله عشيروف).

وقد رغبتهم بالعمل في المسجد وقلت لهم: إنه لحظ عظيم لهم، وشرف خالد أن يكون بناء أول مسجد في هذه المدينة، بل في هذه المنطقة من عمل أيديكم وإنني أقترح عليكم أن تبدءوا الآن بفتح سجل للشرف تسجلون فيه جهود كل من عمل من المسلمين وحتى غيرهم على إقامة هذا البيت من بيوت الله، سواء أكان ذلك بتقديم المال، أم ببذل جهد مميز لأن ذلك حقيقة تاريخية مثلما لو كان المسلمون الأوائل الذين بنوا المسجد الخشبي الصغير الأول الذي كان موضعه قد فعلوا.

وفي التاسعة والنصف لم يكن بقي لدينا أحد فتعشينا في فندقنا على سمك نهري جيد كنا أكلنا مثله في الغداء، ولحم اخطبوط من مياه عذبة، ولم أكن أعرف أنه يعيش في المياه العذبة قبل اليوم، أما الأرز فإنه كان الأبيض الساذج بعد أن أفهمناهم أننا لا نريد أن يقرب طعامنا إناء أو سكين مسه لحم خنزير، وكان مع الأرز بطاطس مقلي وذرة مسلوقة ثم الحلوى.

ولاحظت أنهم يتمتعون بذوق رفيع وحسن تصرف أفضل من الروس أو ذوي الأصل الأوروبي الشرقي، رغم مظهرهم الشرقي الواضح.

يوم السبت ١٨/٤/١٤٢٠هـ:

دفعنا إلى الفندق أجرته لليلتين بمبلغ رخيص لا يكاد يصدق رخصه، وذلك أن الجمعية الإسلامية هي التي حجزت لنا غرفنا وهي أربع اثنتان لنا واثنتان لمرافقينا وهما الأستاذ عبدالواحد نيازوف والشيخ (أميرمظفر) فكانت الأجرة لنا كلنا ١٤٠ دولاراً.

هذا مع المعاملة الممتازة، والذوق الرفيع الذي لقيناه من العاملين في الفندق وكلهم من المغول ليس فيهم من الروس أو من ذوي الأصل الأوروبي أحد.

وكان هذا الرخص إلى جانب الشعور بالأمن الذي حدثنا به إخواننا المقيمون هنا وأحسسنا به بأنفسنا جعلنا نستمتع بزيارتنا هذه القصيرة إلى جمهورية بوريات للمنغول.

مغادرة المدينة :

في الساعة الثامنة صباحاً حضر إلى الفندق الأخ الكريم الحصيف (بصير نور علي) رئيس الجمعية ونائبه البرس غفيف فخرجنا معهما إلى المطار.

وأدخلونا في قاعة كبار الزوار بينما أنهى الإخوان كل إجراءات السفر فطلبت منهم أن نودعهم الآن، وأن يذهبوا إلى أعمالهم، إلا أنهم لم يوافقوا على ذلك حتى ندخل الطائرة، وهنا أعلن أهل المطار أن قيام الطائرة سوف يتأخر ثلاث ساعات، وكان الإخوان قد أخبرونا من قبل بالمعلومات عن الرحلة وأن الطيران سيستغرق ست ساعات لأن المسافة هي أربعة آلاف وخمسمائة كيلومتر من (أولان أوده) إلى موسكو، وذهب أحدهما إلى المدينة وأحضر معه طعاماً لنا لأن طعام الطائرة غير مناسب فأكلنا معهم ونحن ثلاثة في قاعة كبار الزوار التي لم يكن فيها معنا إلا رجل وامرأة.

كنا عندما قدمنا إلى هذه المدينة أربعة إذْ يرافقنا اثنان أحدهما المترجم من الروسية إلى العربية وبالعكس (أمير مظفر) وسوف يعود معنا إلى موسكو حيث نشتري له تذكرة من موسكو إلى مدينة (يكاترين بورغ) عاصمة الأورال التي أخذناه منها.

أما المرافق الثاني وهو الأخ الأستاذ (عبدالواحد نيازوف) فإنه يسافر اليوم إلى مدينة (جيتا) في أقصى شرق سيبيريا حيث تلتقي حدود سيبيريا بمنطقة الشرق الروسي الأقصى، وكنا قد عزمنا على السفر إليها بالطائرة من مدينة (أولان أوده) هذه ومن ثم نعود إلى موسكو بعد زيارتها، غير أننا فوجئنا بعدم وجود طيران من (أولان أوده) إليها وإنما الوسيلة الوحيدة للذهاب إليها

هي القطار وهو يستغرق اثني عشر ساعة، مما لا نستطيع تحمله بعد الرحلة بالقطار قبل يومين ولا يتحمله وقتنا أيضاً فتقرر أن يسافر إليهم الأخ (عبدالواحد نيازوف) بالقطار ويخبرهم بسبب تأخرنا، ويبلغهم أن الأفضل تأجيل وصولنا إليهم إلى الوقت الذي يكملون به بناء المسجد التاريخي في المدينة الذي كانوا يعيدون بناءه ويريدون منا أن نطلع عليه.

وقدروا أن بناءه سوف يستكمل قبل حلول الصيف القادم، وعند ذاك يمكنكم دعوتنا ودعوة غيرنا إلى الاشتراك في الاحتفال بافتتاحه مثله في ذلك مثل مسجد مهم يبنى الآن في جمهورية (ياقوتيا) كبرى جمهوريات روسيا الاتحادية مساحة، وربما صح القول بأنها أشد برداً.

وقلت لهم: إنكم إذا حددتم موعد الاحتفال بافتتاح المسجدين في وقتين متعاقبين مما يمكن من يأتي إليكم من خارج روسيا من الاشتراك في الاحتفالين وكتبتم إلى رابطة العالم الإسلامي بذلك فإننا نعدكم أننا سوف نرسل إليكم من الرابطة من يشترك في الاحتفال، وقد أصروا على أن أحضر بنفسي، فقلت لهم: إنني أود ذلك ولكن إذا كانت ظروف العمل، أو برنامجي لا تسمح بذلك أرسلنا إليكم من موظفي الرابطة من يقوم بذلك.

الحبس في غرفة التكريم:

بقينا في غرفة كبار الزوار، وبقي معنا الإخوة المودعون أربع ساعات هي بالنسبة إليهم مهمة لأنها وقت عمل، وقد انتحيت ناحية من الغرفة وأخذت أقطع الوقت بالكتابة، بينما كانوا جزاهم الله خيراً يعملون مع الأخ المرافق رحمة الله بن عناية الله في إحضار الطعام والشراب وحتى القهوة والشاي.

ودخل أحدنا حمام الغرفة الممتازة فوجده غير ممتاز، بل إنه لا نور فيه ولا أوراق للتنظيف وهو وسخ قد بعد عهده بالتنظيف، وهذه عادة عرفناها عن الشيوعيين في جميع البلاد التي حكموها وهو أن تكون المراحيض وما يتعلق بها على غاية من القذارة، عرفت ذلك من الصين إلى أوروبا الشرقية، ولم أكن عرفت السبب في ذلك حتى قال لي أحدهم: إن ذلك راجع إلى المبدأ الشيوعي الذي لا يجيز أن يخدم أحد من الناس أحداً إلا الحكومة التي يصعب عليها أن تجد من يقوم بهذا العمل القذر وهو تنظيف المراحيض والحمامات إلا إذا دفعت إليه أجراً أكثر من غيره، وهذا يخالف مبدأهم القائل علناً بالمساواة بين الناس في العمل والأجور.

وظني أن هذا الأمر ليس هو السبب الوحيد في ذلك، وإنما هو راجع إلى عدم الإحساس بوجوب العمل على راحة الناس، في عمل يعدونه من الرفاهية، وهو أن يقضي المرء حاجته في مكان نظيف.

عندما قرب موعد المغادرة بعد التأخير أخذونا من غرفة كبار الزوار إلى مكتب صغير فيه مقاعد محددة، ومعنا إخواننا المودعون جزاهم الله خيراً فصارت الموظفة فيه تقارن بين صورنا في الجوازات ووجوهنا وتكرر ذلك، ثم صارت تراجع التذاكر وتختم عليها، ثم استبقتنا فترة في ذلك المكتب أيضاً.

ثم أرسلونا مع موظفة أرضية في المطار بعد أن ودعنا الإخوة الكرام أهل أولان أوده المسلمين ودخلنا الطائرة قبل بقية الركاب، وذلك جرياً على عادتهم في أن يصعد الضيوف إلى الطائرة وينزلوا منها قبل بقية الركاب من أهل البلاد.

وعندما دخلنا الطائرة وجدنا فيها الرائحة غير المحببة التي تنبعث من حماماتها، وكانوا قالوا لي من قبل إنها رائحة نوع من المطهر للحمامات.

أركبونا في الصف الأول من الطائرة وهو الذي كانوا يعتبرونه بمثابة الدرجة الأولى لأنه لم تكن توجد درجة أولى في طائراتهم العاملة في داخل البلاد، ولكنه جيد متسع قد جعلوا في أسفل جداره متسعاً للرجلين وفيه منصة يكتب عليها الراكب وذلك لا يوجد في غير هذا الصف الأول.

وقد ازدحمت الطائرة بالركاب حتى لم يبق في مقاعدها مكان خالٍ، وذلك أنها الرحلة اليومية الوحيدة بين المدينتين.

من أولان أوده إلي موسكو :

درجت الطائرة في المدرج والمكبر فيها يعلن التعليمات المعتادة بالروسية، إلا أن المضيفة لم تنفذ شيئاً من ذلك بأن تنبه الركاب مثل جعل الحقائب أسفل المقاعد أو في رفوف الطيارة بل تركتهم يفعلون فيها ما شاءوا ولم تتأكد حتى من ربط أحزمة المقاعد.

نهضت الطائرة من المطار وهي تزمجر أو تشكو من حملها الثقيل في الساعة الثانية والربع متأخرة خمس ساعات وخمس دقائق عن الموعد المحدد لقيامها في الأصل.

كانت المناظر من المطار لا تختلف عن بقية مطارات المدن التي تعتبر عواصم إقليمية إذ فيه عدد كبير من الطائرات الواقفة التي تبدو معطلة تحتاج إلى إصلاح وأكثرها في العراء، أي ليس في حظائر.

معظم ركاب الطائرة من الروس ومن في حكمهم من السلافيين وسكان أوروبا الشرقية وفيها قلة من الركاب من ذوي الأصل المغولي وهم السكان الأصلاء لهذه الجمهورية ولا يخفى منظرهم على أحد بسبب المظاهر الخلقية التي أهمها اتساع الوجه وعرضه وصغر العينين بالنسبة إلى عيون الأوروبيين.

وعندما أقلعت بدت منها مدينة (أولان باتور) مزدحمة في وسطها منثورة في أطرافها وبدا بجانبها نهر سلينقا المفعم بالمياه، والريف الأخضر العامر بالحقول المؤقتة مثل خضرته لأن برد الشتاء لا يبقي على شيء منها، وغبطتهم على هذه المياه والخضرة.

وجاء الخيال ليقول: إنك لو حسبت ما يلاقونه في الشتاء القارس بما هم فيه الآن لعرفت أنهم خاسرون، فأنهار تتجمد وتتوقف والأرض تعقم، وحتى الأشجار تبدو هامدة حتى لا يكاد يرجى لها نشور، وبذلك تكون بلادنا على جدبها وقشف الحياة فيها أحسن منها.

وقد يقول قائل: إن هؤلاء القوم إذا قدر لهم أن يتقدموا في الأمور الزراعية والصناعية وأصبحت عندهم الآن مقدرة على قطع الأعشاب وخزنها بوفرة وسهولة، وإذا ما استطاعوا استغلال الإمكانات المؤقتة عندهم بوقت الدفء القصير لوقت البرد الطويل واستمروا حتى في الشتاء باستغلال الثروة السمكية في بحيراتهم وأنهارهم، وصاروا يزرعون محصولات تدر أكثر وأوفر فإنهم سيكونون في وضع أفضل من الآن بكثير، بل إنهم إذا افترضنا أن ذلك حصل لهم سيكونون كبعض البلدان الأوروبية التي استفادت من مثل هذه الأمور في إنتاج اللحوم والألبان حتى صارت تتمتع بمستوى من العيش من أعلى المستويات في العالم كالدنمارك وهولندا.

وقد رأينا والطائرة تعلو في الجو جبالاً خضراً لم نرها في القدوم الذي كان بالقطار، وفي أكثر وقته في الليل.

وكان مكبر الصوت في الطائرة قد أعلن أن الطيران سيستغرق ست ساعات دون توقف مع أن الطائرة هي نفاثة سريعة، وكل ذلك داخل ركن من

أركان جمهورية روسيا الاتحادية، لذلك وجدتني أقول ما قلته من قبل: "إنه لمُلك روسي عريض"!

ثم علت الطائرة فوق السحاب في جو شامس كان دخول الشمس من الطائرة فيها غير مريح لأنها حارة.

واستمر طيرانها كالعادة التي عرفناها من الطائرات الروسية النفاثة ثابتاً خالياً من الاهتزازات أو الارتجاج، وحتى ما يسمى بالمطبات الهوائية لا يحس الراكب بهذه الطائرات الروسية بشيء منه، وربما كان ذلك لقوة محركات الطائرة وضخامتها.

إعلان الغداء بالمكبر :

ما رأيت مثل الطائرات الروسية في الاحتفاء بالطعام التي تقدمه، وكأنما هي تمن به على الركاب مناً، حتى ولو لم يكن من الوفرة والجودة بما يستحق معه ذلك الاحتفاء.

فكانوا إذا ما أرادوا تقديم الضيافة حتى طعام الفطور أعلنوا ذلك من المكبر باللغة الروسية يقولون ما معناه: سوف نبدأ بتقديم الطعام لكم.

وقد رأيت ذلك منهم في رحلات عديدة، مع العلم بأنهم لا يقدمون الطعام في طائراتهم إلا في رحلة تستغرق أكثر من ساعتين، وكانوا في زمن الاتحاد السوفيتي لا يقدمون الطعام إلاَّ في الرحلات التي تزيد مدتها على ثلاث ساعات، وربما كان هذا من أسباب إعلانهم بمكبر الطائرة عن اعتزامهم تقديم الطعام.

ثم جاءوا به قليلاً فيه قطعتان صغيرتان من الخبز وزبدة وقطعة من الجبن مغلفة، وقرصان من البسكويت ثم الشاي، ورأيت المضيفة ترميه على موائد

الركاب رمياً ومن دون أن تلتفت فضلاً عن أن تبتسم أو تستعد للإجابة على استفسارات الركاب كما تفعل شركات الطيران الأخرى في بقية أنحاء العالم.

وليس في هذه الوجبة طعام حار رغم كون الوقت غداء وأن المسئولين عن الطائرة هم السبب في تأخير الرحلة.

ولم نكن بحاجة إلى الطعام فقد أكلنا مما أحضره الإخوة لنا في غرفة المطار، كما أعطونا ما يكفينا من الغداء في الطائرة من البطاطس والبيض والسمك فضلاً عن الخبز الجيد.

في مطار موسكو:

اخترقت الطائرة وهي تتدلى هابطة سحاباً كثيفاً كان يلف منطقة موسكو، وذلك قبيل الهبوط في المطار فتبين أن المطر كان فيها يهطل من هذا السحاب الكثيف الذي لم نكن نشعر به لأننا كنا فوقه في جو شامس.

وبدا نهر موسكو صغيراً ضيقاً، بل حقيراً بالنسبة لعمالقة الأنهار وحتى الأنهار المتوسطة التي رأيناها في رحلتنا هذه سواء في الشرق الروسي كنهر.... الذي يفصل بين روسيا والصين، ووقفنا على ضفافه وصورناه في مدينة (خباروفسك) عندما كنا نزور الشرق الأقصى الروسي، مع العلم بأن نهر موسكو هذا كان أصغر من ذلك في أول الأمر، ولكن المدينة اتسعت وكثر سكانها ولم يعد يكفيهم النهر بمائه المحدود فأخذوا له ماءً من نهر ايدل (الفولقا) سيد أنهار الشمال، وذلك بقناة شقوها لهذا الغرض، وقد بذلوا جهوداً ونفقات كبيرة حتى أوصلوا الماء من (الفولقا) إلى نهر موسكو هذا بسبب عدم إمكان انسياب الماء إلى نهر موسكو انسياباً طبيعياً.

وبدت منطقة موسكو من الطائرة خضراء خضرة حقلية من شعير يجعلونه علفاً للدواب ومن بطاطس يأكلونه وقد بدخرونه مع أنه من النوع الردئ لبرودة الجو في موسكو في الصيف بالنسبة إلى دفئه أو حره في سيبيريا في فصل الصيف.

وكل الزراعة في موسكو ومنطقتها على مياه الأمطار الصيفية، أما في الشتاء فإنه لا يعيش فيها شيء من الزرع، ولا يدر فيها الضرع اللهم إلاَّ إذا كان يعتلف مما خزن له من العلف من الصيف.

هبطت الطائرة في مطار موسكو بعد ست ساعات إلاَّ ربعاً من الطيران وذلك في الثامنة ضبطاً حسب توقيت أولان أوده، الثالثة ظهراً ضبطاً بتوقيت موسكو فالفرق بينهما في التوقيت هو خمس ساعات.

وبدت أعشاب المدرج في المطار كأنما بعثت لتوها لأننا تركناه مصفرة بسب تأخر نزول المطر عليها في ذلك الوقت.

وكان المطر يهطل لذلك أسرعنا إلى سيارة كان أعدها مدير مكتب الرابطة في موسكو المهندس أحمد يوسف الذي كان في استقبالنا في المطار.

وهذا المطار الذي نزلنا فيه هو واحد من أربعة مطارات كبيرة لمدينة موسكو، ويسمونه (دوما ديدوفا).

ولم تقف الطائرة عند دهليز متحرك كما يكون في المطارات الكبيرة، وإنما وقفت في ساحة الوقوف في المطار بعيداً عن المباني فأرسلوا حافلة امتلأت قبلنا فوفقنا عند الطائرة تحت المطر الذي كانت معه ريح ولكنها غير باردة.

ودخلنا مدينة موسكو قاصدين فندق كوزموس الذي كنا نزلنا فيه أكثر من مرة قبل سنتين، وجدناه الأول أحسن نظاماً، وأكثر احتياطاً للأمن، وفوق ذلك

هو الآن أرخص سعراً إذْ سعره للغرفة الواحدة للشخص الواحد ٩٠ دولاراً أمريكياً مع الإفطار.

وهذا أرخص بكثير من أجرة الفندق الذي كنا سكنا فيه في سفرتنا هذه قبل أن ننطلق للشرق الأقصى الروسي وسيبيريا وهو فندق سويسرا الذي كان سعر الغرفة فيه بعد التخفيض هو ضعف هذا المبلغ.

ولم يكن لنا من هدف من الوصول إلى موسكو إلا أن نتفقد مكتب رابطة العالم الإسلامي فيه وأن نحصل على سمات دخول لبعض الدول الأوروبية التي سنذهب إليها بعد موسكو وقد قضيت أكثر الوقت في الراحة والكتابة والاتصال بسفارتنا السعودية.

ثم سافرنا من موسكو إلى مدينة تالين عاصمة جمهورية استونيا بالطائرة وبعد (استونيا) سافرنا بالباخرة إلى هلسنكي عاصمة فنلندا وتجولنا في مدن عديدة من مدنها، وبعد زيارتها مررنا بعاصمة السويد مدينة استوكهلم، والحديث عن السفر في هذه الدول الثلاثة في كتاب آخر هو: (التعليق على السفر إلى منطقة البلطيق).

وبالله التوفيق.

خاتمة في الملاحظات العامة :

١- يتضح من المقابلات الرسمية التي تمت مع المحافظين وولاة المقاطعات التي زارها وفد الرابطة أن الاتجاه الحكومي العام هو مساعدة المسلمين على ترميم المساجد القديمة التي أعيدت إليهم، ومنحهم الأراضي عطاءاً أو بيعاً بأسعار رمزية لإنشاء المساجد وإيجاد المناخ الذي يساعدهم على الشعور بالطمأنينة والحرية الدينية والمساواة مع أفراد القوميات الأخرى ربما لتعزيز ثقتهم بحكومة روسيا التي تواجه حركات استقلالية في مناطق القوقاز.

٢- لرغم ازدهار عمليات ترميم وإصلاح وإنشاء المساجد مما يعكس الروح الإسلامية التي تدفع المسلمين رغم من أميتهم الدينية للعمل لاستعادة هويتهم الدينية، ولكن لا يزال المسلمون يحتاجون إلى التوعية بأمور دينهم وتعليمهم أحكام الإسلام ثم مساعدتهم مادياً في مشاريعهم ومؤسساتهم التي تساعدهم لاستعادة دورهم في المجتمع ذي الأغلبية الأرثوذكسية المتعصبة.

٣- إن جولات وفد الرابطة في مختلف مناطق سيبيريا شرقاً في جزيرة كامشتكا وغرباً في ولاية تيومن وجنوباً في أولان اوده وشمالاً في نوفي أورنغوي وفي إيركوتسك شرق سيبيريا يؤكد أن المسلمين يوجدون في كل أنحاء سيبيريا تقريباً، وأن تواجدهم القديم قد تعزز بهجرة المسلمين إليهم من بلدان ومناطق الاتحاد السوفيتي السابق.

٤- أحاديث المسلمين أفراداً وجماعات توضح بأنهم يكنون محبة خاصة للمملكة العربية السعودية، ويتطلعون إليها لمساعدتهم على شئون دينهم كما يرغبون في توطيد علاقاتهم الأخوية والاقتصادية مما يساعد على تحسين أحوالهم وظروفهم الاجتماعية والثقافية والاقتصادية.

التوصيات العامة :

١- العمل على تزويد المسلمين بالكتب الإسلامية التي تفيدهم في معرفة أمور دينهم وتربية وتعليم أبنائهم بتعاليم الإسلام الحنيف لمساعدتهم على استعادة هويتهم الإسلامية وذلك بالكتب الجيدة لغة ومضموناً واختياراً.

٢- توثيق العلاقات الأخوية مع تلك الجماعات الإسلامية التي تعيش في مناطق نائية وتعزيز مختلف الصلات معهم لمساعدتهم على رفع معنوياتهم الروحية وتحسين ظروفهم الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

٣- إقامة دورات صيفية تعليمية وتثقيفية لأبناء المسلمين وإقامة دورات تدريبية لتأهيل الأئمة والمدرسين بالخبرات والعلوم المفيدة لعملهم ونشاطهم الدعوي والتعليمي.

٤- مواصلة زيارة المسلمين لدعم نشاطهم معنوياً ومعرفة أحوالهم وظروفهم ودراسة مشاريعهم وتقديم العون المطلوب لهم ومتابعة المشاريع التي سبقت مساعدتهم عليها.

٥- تخصيص عدد من المنح الدراسية لأبناء المسلمين هناك حتى يعودوا بعد دراستهم في المملكة مسلحين بثقافة إسلامية جيدة، وربما يؤسسون مدارس أو حركة دعوية فاعلة.

٦- طبع ونشر عدد من الكتب الإسلامية المختصرة والنشرات باللغة الروسية التي هي لغة الثقافة للجميع وتوزيعها هناك، إضافة إلى نشر بعض النشرات الإسلامية باللغة المحلية المنغولية بالنسبة إلى جمهورية البوريات.

٧- دعوة عدد من زعماء المسلمين وأئمة المساجد فيها لأداء العمرة والحج ضيوفاً على رابطة العالم الإسلامي.

الفهرس

كتب مطبوعة في الرحلات للمؤلف ٥
مؤلفاته المطبوعة في غير فن الرحلات ١٤
المقدمة ١٩
إلى أقصى شرق سيبيريا ٢٣
منطقة ايركوتسك ٢٦
من يكاترينا بورغ إلى ايركوتسك ٢٩
مطار ايركوتسك ٣٥
زيارة حاكم المنطقة ٣٩
مقابلة رئيس البلدية ٤٣
بحيرة بايكال ٤٤
على ضفاف البحيرة العميقة ٤٦
غداء البحيرة ٥٢
جولة إلى أبعد ٥٤
متحف بايكال ٥٥
متحف الحيوان المحنط ٥٧
تلثمائة ألف نوع ٥٨
لا يأكل إلا السمك الطازج ٥٨
المتحف الخاص ٦٢
سوق السمك ٦٣
جامع ايركوتسك ٦٦
جمهورية البوريات ٧٥

جمهورية بوريات الذاتية الحكم ٧٧
من ايركوتسك إلى أولان أوده ٧٩
مدينة أولان أوده ٨٠
ملك روسي عريض ٨٤
إلى أرض المسجد ٨٦
الحكومة تساعدهم على بناء المسجد ٩٠
البدء قبل الشتاء ٩٢
تبرع عاجل ٩٣
الاجتماع بالمسلمين ٩٥
مأدبة الحكومة ١٠٢
صلة قديمة ١٠٧
جولة في مدينة أولان أوده ١٠٨
أكبر ميدان في المدينة ١١٠
اللقاء بكبار المسئولين في الجمهورية ١١٣
مواصلة الجولة ١٢١
ميدان الثورة ١٢١
سوق شعبي ١٢٥
كثرة الأسماك ١٢٨
تذكار الحرب العالمية الثانية ١٣١
وتذكار حرب أخرى ١٣٢
الزهرة السوداء ١٣٢
مدينة الربى ١٣٥
ضواحي المدينة ١٣٧

المعبد البوذي ١٤١
نهر سلينقا ١٤٥
التشويش على الإذاعات ١٤٨
أنصار السمنية ١٤٨
ذات أنواط ١٥٠
مرتفع الأيايل ١٥٢
ساحة لوبقي ١٥٤
ملتقى النهرين ١٥٥
مغادرة المدينة ١٦١
الحبس في غرفة التكريم ١٦٢
من أولان أوده إلى موسكو ١٦٤
إعلان الغداء بالمكبر ١٦٦
في مطار موسكو ١٧٦
خاتمة في الملاحظات العامة ١٧٠
التوصيات العامة ١٧١
الفهرس ١٧٣

مطبعة النرجس التجارية
NARJIS PRINTING PRESS
تلفون: ٢٣١٦٦٥٣ - فاكس: ٢٣١٦٨٦٦
E-mail: narjisepp@yahoo.com

https://dawa.center

المستودع الدعوي الرقمي
Osoul Center For Studies

كتب مخطوطة في الرحلات للمؤلف

١- رحلات في البيت: رحلات داخل المملكة العربية السعودية.
٢- جولة في جزائر البحر الأبيض المتوسط.
٣- حديث المؤتمرات (الخارجية).
٤- جولة في جزائر المحيط الأطلسي.
٥- مؤتمرات إسلامية حضرتها.
٦- رحلة المسافات الطويلة.
٧- حول العالم في خط متعرج.
٨- الإشراف على أطراف من المشرق العربي.

الرحلات الإفريقية

٩- الإشراف على أطراف من المغرب العربي.
١٠- العودة إلى غرب إفريقية.
١١- العودة إلى المغرب الأقصى، بين الصحراء والأرض الخضراء.

رحلات في القارة الأوروبية

١٢- التعليق على السفر إلى أقطار البلطيق.
١٣- من كوينها جن إلى كييف مرورا بباريس.
١٤- رحلة الشمال
١٥- خلال أوكرانيا بحثا عن المسلمين.
١٦- زيارة لإيطاليا وحديث في شؤون المسلمين.
١٧- تجوال في بلاد البرتغال.
١٨- رحلة الأندلس.
١٩- زيارات خاطفة لمدن أوروبية مختلفة.
٢٠ - العودة إلى داغستان.

الرحلات الهندية

٢١-على أعتاب الهملايا.
٢٢- بلاد الهند والسند : باكستان.
٢٣- في الشمال الغربي من الهند.
٢٤- في أقصى شرق الهند.
٢٥- وسط الهند.

الرحلات الآسيوية

٢٦- رحلات في بلاد الملايو.
٢٧- في مهد الترك : تركستان الشرقية.
٢٨- في أحناء إندونيسيا.
٢٩- في شمال شرق آسيا.
٣٠- جمهورية قازاغستان : ملخص تاريخي ومشاهدات ميدانية.
٣١- إلى تاجيكستان، ثانية.
٣٢- قازاغستان بعد أوزبكستان وتاجيكستان.

رحلات في القارة الأمريكية الجنوبية

٣٣- الحل والرحيل في بلاد البرازيل.
٣٤- رؤية جديدة للجانب الأبعد من امريكا الجنوبية.
٣٥- رحلة الجنوب.
٣٦- شمال البرازيل.
٣٧- وسط البرازيل.
٣٨- فنزويلا وترينداد.
٣٩- رحلات فنزويلية.

رحلات في أمريكا الشمالية

الرحلات الصينية

٤٢- في وسط الصين.

الرحلات الكاريبية

٤٣- المارتينيك، وبربادوس.
٤٤- دومنيكا وقواديلوب وانتيقوا.
٤٥- بورتوريكو وجامايكا وجزيرة الدومنيكان.

رحلات بلقانية

٤٦- كرواتيا وسلوفينيا.

أستراليا وجنوب المحيط الهادي.

٤٧- في شمال أستراليا.
٤٨- في جنوب أستراليا.
٤٩- في شرق أستراليا.
٥٠- في غرب أستراليا.
٥١- غينيا الجديدة آخر الغينيات - زيارة.
٥٢- الإلمام بالمحيط الهادئ من أستراليا إلى جزيرة قوام.

رحلات في جمهورية الموز

٥٣- بلاد المكسيك وقواتيمالا.
٥٤- السفر والأوبة من كوبة.
٥٥- التشريق بعد التغريب ، في بحر الكاريب.

الرحلات الروسية

٥٦- جمهورية القبائل الروسية.
٥٧- إلى الشرق الأقصى الروسي.
٥٨- مقال في السفر إلى منطقة الأورال.

الرحلات السيبيرية

٥٩- غرب سيبريا.
٦٠- شرق سيبريا.

Dar Altholothia
9786039021179
SR 15.00

مطبعة النرجس- ت: ٢٣١٦٦٥٣ ف: ٢٣١٦٨٦٦

ردمك: ٩-٧-٩٠٢١١-٦٠٣-٩٧٨